أكرم عبد الستار كساب

مع المصطفى ﷺ في حجه

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل من تتوق نفسه إلى بيت الله الحرام .
إلى كل من زار بيت الله العتيق .
إلى كل من أعطاه الله بسطة في المال والجسم ؛ وما يزال متكاسلاً عن زيارة بيت الله .
إلى كل من يبغي حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً.
إلى كل من يريد هدي حبيبه المصطفى ﷺ في حجه .
إلى كل حاج و معتمر .
إلى كل وافد و زائر .
إلى كل ساع و طائف .
إلى كل ملب و ناسك .
إلى كل محرم و رام .
إلى كل حالق أو مقصر .
إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذه الكلمات .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأزكى صلوات الله وسلامه على سيد المخلوقات، سيدنا وإمامنا وحبيبنا محمد ﷺ.

وبعـــــد ....

فهذه هي الطبعة الثانية من كتابي (مع المصطفى ﷺ في حجه) وكانت الطبعة الأولى قد صدرت منذ عامين (٢٠٠٣م) وقد لاقت قبولاً والحمد لله تعالى، سواء من عامة الناس، أو طلاب العلم؛ فضلا عن المشايخ والعلماء، وكان مما يعيب الطبعة الأولى صغر حجمها، ودقة خطها؛ فرأيت أن تكون هذه الطبعة بخط أكبر ، وحجم أكبر ، مع زيادات قليلة وإضافات يسيرة، ربما لا يلحظها القارئ.

وأخيرا فأسأل الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الدين، وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره. إنه على ما يشاء قدير.

* * *

« كتاب كريم من أكرم »

تقديم بقلم الشيخ : عبد السلام البسيوني

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه .

أحسب – والله حسيبي ، ولا أزكي على الله أحداً – أن هذا الكتاب عن حَجة سيدي النبي ﷺ كتاب خاص ، كما أن كاتبه كاتب خاص . .

والبينة على المدعي :

فأما الكتاب فهو قراءة للمناسك متأملة ، ونظرة متفحصة محللة ، ترى ما وراء النص ، وتتأمل ما بعد الشعيرة ، وتستشرف ما بطَن من آلاءٍ ونعم ، وأحكام وحِكم .

وهو دفقة عاطفية ، تترجم حب المسلم لله تبارك وتعالى ، وفرائضه ، وإنعاماته .

وهو نظرٌ في الخطوات ، وعرض للمناسك ، وترتيب لعمل الأيام .

وهو تأمل في مشكلات الحجيج – الآنية والمتوقعة – لعل الله تعالى يزيل بها شرًا، أو يؤسس بها خيرًا .

هو كتاب في أحكام الحج ميسرٌ واضحٌ سلس .

وهو كتاب نصيحةٍ للمسلمين الذين حجوا ، والذين لم يحجوا .

وهو كتاب إعلانٍ لحقوق المسلم ، وحقوق المتعبد ، وحقوق أماكن العبادة .

وهو كتابٌ في مكارم الأخلاق ، وعلو الهمة ، والحرص على فتح أبواب الخير .

هو كتاب عصري يخاطب ابن هذه الأيام ، ويفكر معه ، ويهتم لحاله .

وهو كتاب تقليدي ، يربط المسلم بثوابته وأركان دينه .

هو كتاب في الخطى المحمدية ، والملة الحنيفية المصطفوية ، وفي تاريخ الأنبياء الذين حجوا البيت العتيق ..

وهو كتاب في فقه السيرة ، وفي فقه الحج ، وفقه السلوك ، وفقه الدعوة ، وفقه الأولويات ..

وهو كتاب لما قبل الحج ، وما بعد الحج ، وأثناء الحج .

هو – باختصار – جديد في بابه ، في تناوله ، في مادته ، وفي فكرته .

وهو كتاب شائق لن تمل قراءته ، إذ تجاوز طرائق عرض الكتب الفقهية الصارمة في ألفاظها ، التي تحتاج شيئا من الصبر والمتابعة ؛ فما إن تبدأ قراءته حتى تتوغل فيه – إن شاء الله – لتجد نفسك وقد فرغت منه ..

وهذه نعمة لا تتوفر في كثير من الكتب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ..

ولهذا هو – في ظني – جدير بالقراءة .

وأما الكاتب – والله حسيبي ولا أزكي على الله لا أكرم ولا « اللي أكرم منه » ، عدا من زكاهم الله تعالى – فهو رجل جميل حبيب ، سلس سمح ، هين لين ، تحرر كثيراً من العصبية ، والغضب للافتات ، والجري وراء الذات ، مع قدر من الإنصاف ينبغي أن يتحلى به الإسلاميون أجمعون ، في زمن عزَّ فيه الإنصاف حتى بين الرؤوس الكبيرة ، والقامات العالية . .

وهو رجل ذو هم وهمة ؛ وإرهاص بكاتب ضخم يمكن أن يملأ اسمه الساحة خلال أقل من عقد – والله أعلى وأعلم – فانتظر قارئي العزيز قلم / **أكرم عبد الستار** ، وفكره وعطاءه ، وادع معي له بالتثبيت والعافية ، والقبول وحسن العاقبة ، والنجاة من الزلل .

وادع لنفسك ولي وله ووالدينا وذرارينا وأحبتنا بالفردوس الأعلى من غير سابقة حساب ولا عذاب ولا عقاب . . اللهم آمين . . . وصل اللهم وسلم وبارك على سيدي رسول الله وآله وصحبه .

الدوحة في ٢٤ من رمضان المعظم ١٤٢٤هـ

الموافق ١٩ نوفمبر ٢٠٠٣م

الفقير إلى رحمة الله

عبد السلام البسيوني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأزكى صلوات الله وسلامه على سيد المخلوقات ، سيدنا وإمامنا وحبيبنا محمد ﷺ .

وبعد : فإن شعيرة الحج تعد ركناً من أركان هذا الدين ؛ ولعلها من أكثر الشعائر كتابة وتأليفاً ؛ هذا وقد تنوعت طرق الكاتبين في هذه الشعيرة ؛ فمنهم من كتب فيها على الطريقة المذهبية ؛ فهو يكتب على المذهب الذي درسه، والإمام الذي يتبعه ، ومنهم من كتب فيها مقارنة ؛ يذكر فيها مواضع الخلاف بين الفقهاء ومذاهبم ، ومنهم من كتب فيها مستشهداً بالكتاب والسنة بعيداً عن التمذهب ، ومنهم من كتب فيها ذاكراً الهدي النبوي في الكيفية والأداء ، ومنهم من كتب فيها مظهراً المخالفات والمبتدعات .

وبالرغم من هذا كله فقد أردت أن تكون هذه الكلمات سياحة في حجة النبي ﷺ ، وسعياً مع المصطفى ﷺ في تلبيته وإهلاله ، وطوافه ورمله ، وسعيه و هرولته ، ووقوفه ومبيته ، وحلقه ونحره ، وذكره ودعائه ، ورميه ونفره ، بل معه ﷺ في حله وترحاله ، ويقظته ونومه .

ولم أشأ أن تكون هذه الكلمات مليئة بالخلافات ،

أو الشـروط والأركـان ، أو الواجبـات و المستحبـات ؛ بقـدر ما جعلتهـا تلقـي الضـوء علـى حـج المصطفـى ﷺ وفلسفتـه عبره وعظاته ، أهدافه وغاياته .

وقد جعلت عنوانه : «مع المصطفى ﷺ في حجه» (١).

وقد اشتمل على مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول :

أما التمهيد فيشمل رسالتين :

الرسالة الأولى : لماذا لا تحج ؟

الرسالة الثانية : إلى زوار بيت الله في كل عام .

الفصل الأول : ما قبل الحج .

الفصل الثاني : كيف تحج وتعتمر ؟

الفصل الثالث : مع المصطفى في حجه .

الفصل الرابع : الحج عبر وعظات .

الفصل الخامس : وماذا بعد الحج ؟

هذا وأسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، ولا أدعي في ما كتبت الكمال أو التمام ، كما لا أدعي العصمة من الخطأ

(١) في النية إن شاء الله تعالى إصدار سلسلة في سيرة النبي ﷺ تحت عنوان «مع المصطفى ﷺ ....» ، وقد انتهيت بفضل الله من :
١ - «مع المصطفى ﷺ في ضحكه» وهو تحت الطبع إن شاء الله .
٢ - «مع المصطفى ﷺ في بكائه» وهو تحت الإعداد الأخير إن شاء الله .

أو النسيان . ولله در الشاعر حين قال :

أسير خلف ركاب القوم ذا عرجة مؤملاً جبر ما لاقيت من عوج
فإن لحقت بهم بعد ما سبقوا فكم لرب السما في الناس من فرج
وإن ظللت بقفر الأرض منقطعاً فما على أعرج في ذاك من حرج

و أخيراً فما كان من توفيق فمن الله وحده ؛ وهو صاحب الفضل والجود ، وما كان من زلل فمن نفسي ؛ وأسأل الله المغفرة وهو الغفور الرحيم .

الدوحة في ١٠ جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ

الموافق ٨ أغسطس ٢٠٠٣م

الفقير إلى عفو ربه

أكرم عبد الستار كساب

تمهيد

رسالتان .

الرسالة الأولى : لماذا لا تحج ؟

هل تعلم فضل الحج ؟

١ - محو الذنوب .

٢ - الحجاج وفد الله .

٣ - دخولك الجنة .

٤ - الحج جهاد .

٥ - الحج أفضل الأعمال .

٦ - عتق رقبة من ولد إسماعيل .

٧ - عتق سبعين رقبة من ولد آدم .

٨ - مباهاة الله بالحجيج ملائكته .

٩ - الحج يكفر الكبائر .

١٠- الحج يدفع الفقر ويذهب الفاقة .

١١- بالحج يستمر الأجر إلى يوم القيامة .

الرسالة الثانية : إلى زوار بيت الله في كل عام .

ملاحظتان .

تمهيـــد

رســالتان

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، وهو الشعيرة الرابعة من شعائره الكبرى ، ويأتي ترتيبه بعد الصلاة ، والزكاة ، والصيام ليكون متمماً لهذه الأركان الثلاثة.

وقبل الحديث عن الحج ومشروعيته ، وأيامه وأركانه ، وعبره وعظاته ؛ أحببت أن أوجه رسالتين إلى صنفين من الناس .

● **الرسالة الأولى : لماذا لا تحج ؟**

وهي رسالة إلى كل صحيح قادر .

إلى كل من زاده الله بسطة في المال والجسم .

إلى كل من منّ الله عليه بنعمة المال ونعمة الصحة ونعمة الأمن .

إلى كل من كثر ماله وطال عمره .

إلى هؤلاء جميعاً أقول :

أخي الحبيب : ألم تهف نفسك لرؤية بيت الله العتيق ؟

ألم تستمع إلى قول الله تعالى : ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾

[الحج : ٢٧]

ألا تريد أن تلبي نداء أبيك إبراهيم ؟

ألم تسمع قوله تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج : ٣٠] ؟

ألم تسمع قوله تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج : ٣٢] ؟

ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران : ٩٧] ؟

ألم تسمع قوله ﷺ وهو يؤكد فريضة الحج فيقول : « إن الله فرض عليكم الحج فحجوا »(١) .

هل تعلم فضل الحج ؟

أخي الحبيب : هل تعلم فضل الحج ؟ أم أراك غافلاً عنه ؟

لئن كنت تعلم فضله ثم تغفل عنه فتلك والله عجيبة .

وإن كنت لا تعرف فضله فتلك والله غريبة .

وعلى كل فاسمع إلى هذه الأحاديث المباركة ، وتأمل ما جاء فيها على لسان الصادق المصدوق ﷺ ، وأسرع إلى الحج لتنل هذا الثواب العظيم .

أخي الحبيب : ألا تريد أن يمحو الله لك ذنبك ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تكون من وفد الله في هذا العام؟

إن قلت بلى . فلماذا لا تحج ؟

---

(١) رواه مسلم في الحج رقم (١٣٣٧) عن أبي هريرة.

أخي الحبيب : ألا تريد أن تدخل الجنة ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تجاهد في سبيل الله إن عز عليك الجهاد في ساحة الوغى ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تباشر أفضل الأعمال ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن يباهي الله بك ملائكته ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تعتق رقبة من ولد إسماعيل ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تعتق سبعين من ولد آدم ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تكفر عن ذنوبك صغارها وكبارها؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن يدفع عنك الفقر وتذهب عنك الفاقة ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : إن كنت تريد أن تحصل على ما سبق فهات يمينك ، وابسط يدك ، وافتح قلبك واسمع لقول حبيبك المصطفى ﷺ .

أما محو الذنوب : فقد قال رسول الله ﷺ : « من حج فلم يرفث (١) ولم يفسق (٢) رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (٣).

وعن ابن شماسة رضي الله عنه قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ، فبكى طويلا وقال : لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ابسط يمينك لأبايعك ، فبسط يده، فقبضت يدي ، فقال : ما لك يا عمرو ؟ قال: أردت أن أشترط. قال : تشترط ماذا ؟ قال : أن يغفر لي . قال : أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟(٤) .

و أما إنك من وفد الله : فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم »(٥) .

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله ؛ دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم »(٦) .

---

(١) الرفث : ما قَبُح من الكلام ، وهو الإفحاشُ في القول ؛ ويقال أنه : التصريح بالهجْر من الكلام.

(٢) الفسوق : يعني إتيان معاصي الله عز وجل .

(٣) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٢١) ومسلم في الحج رقم (١٣٥٠) عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في الإيمان رقم (١٢١) عن عبد الله بن عمرو .

(٥) رواه البزار عن جابر . وقال الهيثمي في المجمع : رواه البزار رجاله ثقات (٣/ ٢١١) ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١١٠٧) وقال: حسن لغيره .

(٦) رواه ابن ماجه في الحج (٢٨٩٣) عن ابن عمر . وذكره الألباني في صحيح الترغيب (١٢٤٦) .

وأما دخولك الجنة : فقد قال رسول الله ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[(١)] .

وأما أنك مجاهد : فعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني جبان ، وإني ضعيف ، فقال : هلم إلى جهاد لا شوكة فيه : الحج »[(٢)] .

وجاء عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : إن هذا البيت دعامة من دعائم الإسلام فمن حج البيت أو أمه فهو ضامن على الله ؛ فإن مات أدخله الجنة ، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة »[(٣)] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد ؟ فقال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور »[(٤)] .

وأما أنك تحظى بأفضل الأعمال : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور »[(٥)] .

---

(١) رواه البخاري في العمرة رقم(١٧٧٣) ومسلم في الحج رقم (١٣٤٩) عن أبي هريرة.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ١٣٥) . وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات (٣/ ٢٠٦) وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (١٠٩٨) .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٩ / ٢٨) عن جابر وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (٧٠٤) .

(٤) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٢٠) عن عائشة.

(٥) رواه البخاري في الحج رقم(١٥١٩) ومسلم في الحج رقم(٨٣) عن أبي هريرة.

وأما عتقك رقبة من ولد إسماعيل وسبعين من ولد آدم ومباهاة الله بك ملائكته وتكفير كبائرك : فقد روى ابن عمر رضي الله عنه قال : كنت جالسا مع النبي ﷺ في مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ، ثم قالا : يا رسول الله جئنا نسألك . فقال : « إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت ، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت » . فقالا : أخبرنا يا رسول الله ﷺ . فقال الثقفي للأنصاري : سل . فقال : أخبرني يا رسول الله . فقال : « جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه ، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما ، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه ، وعن رميك الجمار وما لك فيه ، وعن نحرك وما لك فيه مع الإفاضة » . فقال : والذي بعثك بالحق لَعَنْ هذا جئت أسألك . قال : « فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا و المروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة ، يقول : عبادي جاؤوني شعثا من كل فج عميق، يرجون جنتي ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك فمذخور لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك

تطوف ولا ذنب لك ؛ يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى »(١).

وأما دفع الفقر وذهاب الفاقة : فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ؛ كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة »(٢).

وأما استمرار الأجر إلى يوم القيامة : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من خرج حاجاً فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ، ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ، ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة »(٣).

أخي الحبيب : لماذا لا تؤدي شكر نعم الله عليك ؟

ألم يعطك ربك ويجزل لك العطاء ؟

أليس عندك من ماله ما أكثره ؟

ومن نعمه ما لا يحصى ولا يعد ؟

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والبزار . وقال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني في الكبير والبزار واللفظ له وقال : وقد روي هذا الحديث من وجوه ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق (٢ / ١١٠) ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم (١١١٢) وقال : حسن لغيره.

(٢) رواه الترمذي في الحج (٨١٠) وقال : حسن صحيح غريب ، وابن خزيمة (٢٥١٢) وابن حبان (٣٦٩٣) ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم (١١٣٣) وقال حسن صحيح .

(٣) رواه أبو يعلى (١١ / ٢٣٨) . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٥٥٣) .

لقد أعطاك ربك من غير سؤال ، وطلب منك الشكر ليعطيك المزيد ، وقال سبحانه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] والله إنك لمسؤول عن هذا المال بين يدي الله فيما أنفقته وقد قال ﷺ : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، و ماذا عمل فيما علم » (١) . ألا تحب أن تقول لله : أنفقت كذا وكذا في حج بيتك الحرام ؟

أخي الحبيب : ألست الآن في صحة وعافية ؟

ألست في قدرة واستطاعة ؟

فلماذا تؤخر ؟ ولماذا التسويف ؟

ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ وهو يقول : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »(٢) .

ماذا تنتظر ؟

إن الصحة التي أسبغها الله عليك يوشك أن تزول ، والعافية التي أنت مسربل فيها يوشك أن تكون ضعفاً وشيبة ؛ فماذا تنتظر ؟ وقد قال ﷺ : « بادروا بالأعمال الصالحة سبعاً : هل تنتظرون إلا فقراً منسيًا ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٦) عن ابن مسعود . وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٢٩٩) .

(٢) رواه الحاكم (٤ / ٣٤١) عن ابن عباس وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٤٣٤١) . وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٣٥٥) .

مجهزاً ، أو الدجال ؛ فشر غائب ينتظر ، أو الساعة ؛ فالساعة أدهى وأمر »(١).

وقال ﷺ محذراً من طول الأمل ؛ كما في حديث ابن مسعود : خط رسول الله ﷺ خطا مربعاً وخط في الوسط خطاً خارجاً منه وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، وقال : هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به ، وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطوط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا انتهشه هذا ، وإن أخطأه هذا انتهشه هذا »(٢).

ويترتب على طول الأمل الكسل عن الطاعة ، والتسويف بالتوبة ، والرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة والقسوة في القلب .

ولله در أبا تراب ؓ حين قال : إن أخوف ما أخاف عليكم ، اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة ، ألا وإن الدنيا ارتحلت مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل .

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٠٦) عن أبي هريرة . وذكره الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٤٠٠) .

(٢) رواه البخاري (٦٤١٧) عن ابن مسعود ، ورسم ابن حجر عدة صور وقال : أصحها الذي رسمناه انظر فتح الباري ج ١١ / ١٤٤ .

أخي الحبيب :

ثم إنك هل تضمن أجلك ؟

هل أنت مالك عمرك ؟

أليست الآجال سريعة المضي ، سريعة الانفلات ؟

كم من أناس عرفناهم كانوا معنا ثم انقلبوا ، وقد كان منهم من هو أصغر منا أجلاً ، وأوفر منا صحة ، وأكثر منا عافية ، وأوسع سلطاناً، وأكثر حاشية ، ثم ماذا ؟ ألم يموتوا ؟ ولله در أبي العتاهية حين قال :

عش ما بدا لك سالماً ... في ظل شاهقة القصور
يجري عليك بما أردت ... مع الغدو مع البكور
فإذا النفوس تغرغرت ... بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ... ما كنت إلا في غرور

أخي الحبيب : ألا تحج الآن وأنت مالك مالك ، وأنت قادر على الإنفاق ، قبل أن يأتي يوم فتقول : ﴿ **رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ** ﴾ [المؤمنون: ٩٩] فيرد عليك ﴿ **كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]

ولله در القائل :

كل باك فسيبكى ... وكل ناع فسينعى
وكل مدخور سيفنى ... وكل مذكور سينسى
ليس غير الله يبقى ... من علا فالله أعلى

أخي الحبيب : اعلم أنك تهدم في عمرك منذ أن نزلت من بطن أمك ، واعلم أن كل يوم يقربك إلى مولاك ، فلماذا لا تحج ؟ لماذا؟

وإليك **أخي الحبيب** أسوق هذه القصة علها تجد في قلبك مكاناً ، فيرق لها :

لقي الفضيل بن عياض رجلاً فقال له الفضيل : كم عمرك ؟

قال الرجل : ستون سنة .

قال الفضيل : إذن أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله ، يوشك أن تصل .

قال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فقال الفضيل : يا أخي هل عرفت معناها ؟

قال الرجل : نعم عرفت أني لله عبد وأني إليه راجع .

فقال الفضيل : يا أخي من عرف أنه لله عبد ,وأنه إليه راجع , عرف أنه موقوف بين يديه ، ومن عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول ، ومن عرف أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً .

ورحم الله سعدون المجنون حين قال واعظاً الرشيد :

هب الدنيا تواتيك ... أليس الموت يأتيك
فما تصنع بالدنيا ... وظل الميل يكفيك
ألا يا طالب الدنيا ... دع الدنيا لشانيك
كما أضحكك الدهر ... كذاك الدهر يبكيك

وأخيراً أخي الحبيب :

ألا تخاف على دينك ؟ ألا تخشى على إسلامك ؟

ألا تحذر أن يأتيك أجلك وأنت لم تحج ؟

ألا تخاف أن تأتي ساعتك وأنت لم تزر بيت الله ؟

ألا تخاف أن تموت فتسأل عن هذه الفريضة ، ويقول لك ربك : ألم أبسط لك في الرزق ؟ ألم أنعم عليك بالصحة ؟ ألم أعطك من المال ما خلفته لغيرك فنالوا النعيم ونلت الحساب ؟

ولقد أراد النبي ﷺ من كل ذي مال وعافية أن يعجل بالحج فإنه لا يدري ما يأتي به الغيب فقد ينقلب الأمن خوفاً ، والصحة مرضاً ، والعافية بلاءً ، والغنى فقراً ، والمال عوزاً وحاجة ؛ وفي الحديث قال ﷺ : « من أراد أن يحج فليعجل ، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة »(١).

وقال ﷺ : « تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له »(٢).

وروى سعيد بن منصور في سننه أن عمر رضي الله عنه قال : لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جدة، ولم يحج ؛ فيضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين» .

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٣) عن ابن عباس أو الفضل، وقال محققوه: حديث حسن والبيهقي (٤ / ٣٤٠) . وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠٠٤) .

(٢) رواه أحمد (٢٨٦٧) وقال محققوه: حديث حسن والبيهقي عن ابن عباس . وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (١١١١) .

وروى ابن أبي شيبة عن علي مرفوعاً قال : « من ملك زاداً وراحلة ولم يحج ؛ فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ».

الرسالة الثانية : إلى زوار بيت الله في كل عام :

وهذا نوع آخر من الناس ؛ على النقيض من النوع السابق ,ولئن كان هناك من عمر ستين سنة وجاوز السبعين والتسعين ولم يحج ؛ فإن نوعاً لا ينقطع عن زيارة بيت الله الحرام كل عام ، ولا ينفك من أن يكون حاجاً أو معتمراً ، فلا تخطئه في ليلة السابع والعشرين من رمضان ، ولا يوم عرفات أبداً ، إنهم يعتمرون للمرة العشرين ، ويحجون للمرة العاشرة أو الحادية عشرة ؛ بل قد تكون العشرين .

وهذا الصنف من الناس ترك الأفضل ومال إلى المفضول، وخالف الأحسن وأخذ بما دونه ، وكان الأولى بهم أن يقدموا الأهم على المهم ، والراجح على المرجوح ، والأحسن على الحسن، ومتعدي النفع على قاصر النفع ، ومصلحة الجماعة على مصلحة الشخص ، وحاجة الأمة على حاجة الفرد .

يقول الإمام العز بن عبد السلام : واعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح ، ودرء الأفسد فالأفسد ؛ مركوز في طبائع العباد نظراً من رب الأرباب ، فلو خيرت الصبي الصغير بين اللذيذ والألذ ؛ لاختار الألذ ، ولو خيرته بين الحسن والأحسن ؛ لاختار الأحسن ،، ولو خير بين فلس ودرهم لاختار الدرهم ، ولو خير بين درهم ودينار لاختار الدينار ، ولا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح ، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت(١) .

(١) انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام . الإمام العز بن عبد السلام / ط مؤسسة الريان / ط الثانية ١٩٩٨ م / ج١ / ص ٥ - ١١ بتصرف .

وقد كان خطأ هذا الصنف من جهتين :

الجهة الأولى : أنهم يزاحمون إخوانهم في مناسك الحج ؛ لقد رأينا الزحام يزداد موسماً بعد موسم وعاماً بعد عام ، وربما وقع ما لا تحمد عقباه من موت ونحوه ، وذلك من آثار الزحام ، ولو ترك هذا النوع حج بيت الله من أجل التوسعة لإخوانه والتخفيف عنهم لكان أولى، وفي الحديث قال ﷺ : «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»(١)، وقال : «لا يرحم الله من لا يرحم الناس »(٢) ، وقال « الراحمون يرحمهم الرحمن »(٣).

الجهة الثانية : أن هذا النوع من الناس قد شغل نفسه بحال غيره، وأدخل نفسه في حال سواه ، وقد قال بشر لهذا النوع من الناس لما سئل عن غني كثير الصوم والصلاة فقال : المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا هو : إطعام الطعام للجياع ، والإنفاق على المسكين ، فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ، ومن صلاته لنفسه ، من جمعه للدنيا ومنعه للفقراء (٤).

وقد كان محقاً فقيه الصحابة في الكوفة عبد الله بن مسعود يوم أن قال مخبراً عن هذا الصنف : في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب ، يهون عليهم السفر ، ويبسط لهم في الرزق ، ويرجعون

---

(١) رواه البخاري في الجنائز رقم (١٢٨٤) عن أسامة بن زيد .
(٢) رواه البخاري في التوحيد رقم (٧٣٧٦) عن جرير بن عبد الله.
(٣) رواه أبو داود في الأدب(٤٩٤١) والترمذي في البر والصلة (١٩٢٥) وقال : حديث حسن صحيح ، وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٥٦٩) وفي صحيح أبي داود رقم(٤١٣٢) .
(٤) انظر : إحياء علوم الدين / الغزالي / ج٣ / ص ٤٠٨ .

محرومين مسلوبين ، يهوي بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور على جنبه لا يواسيه .

وقد واجه الإمام الغزالي هذا الصنف من الناس ، ووجه إليهم اللوم والعتاب فقال منتقداً فعلهم ، موضحاً خطئهم : وفرقة أخرى من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ، ويمسكونها بحكم البخل ، ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة ، كصيام النهار ، وقيام الليل ، وختم القرآن ، وهم مغرورون ؛ لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم ، فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج المال ، فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ! ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية ، وقد أشرف على الهلاك ، وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ، ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين(١)، (٢).

و يذكر لنا الإمام الزاهد الورع عبد الله بن المبارك : أنه خرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم ، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك ، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم ، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ، ثم لفته ثم أسرعت به إلى الدار ، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة . فقالت : أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار ، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة ، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام ، وكان

(١) نوع من الدواء يوصف لمن لدغته حية .

(٢) انظر: إحياء علوم الدين / ج٣ / ص ٤٠٩ ، وانظر : في فقه الأولويات/ د يوسف القرضاوي / مكتبة وهبة / ط الرابعة ٢٠٠٠ م / ص ٢٨ وما بعدها .

أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال ، وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار . فقال : عد منها عشرين دينارا تكفينا إلى مرو ، وأعطها الباقي ، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ، ثم رجع(١) .

وقد أورد الإمام الغزالي قصة دارت أحداثها بين بشر بن الحارث وواحد من هذا الصنف في زمانه ؛ فأوضح بشر للرجل حقيقة الأمر ، فاسمع إلى هذا الحوار :

جاء رجل يودع بشر بن الحارث وقال : قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء ؟

فقال له : كم أعددت للنفقة ؟

فقال : ألفي درهم .

قال بشر : فأي شيء تبتغي بحجك ؟ تزهداً أو اشتياقاً إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله ؟ قال : ابتغاء مرضاة الله .

قال : فإن أصبت مرضاة الله تعالى ، وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم ، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى : أتفعل ذلك ؟

قال : نعم .

قال : اذهب فأعطها عشرة أنفس : مديون يقضي دينه ، وفقير يرم شعثه ، ومعيل يغني عياله ، ومربي يتيم يفرحه ، وإن قوي قلبك تعطيها واحداً فافعل ، فإن إدخالك السرور على قلب المسلم ، وإغاثة اللهفان ، وكشف الضر ، وإعانة الضعيف : أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام ! قم فأخرجها كما أمرناك ، وإلا فقل لنا ما في قلبك .

(١) انظر البداية والنهاية / ابن كثير / ط مكتبة المعارف بيروت / ج١٠ / ص ١٧٨ .

قال : يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي .

فتبسم بشر رحمه الله ، وأقبل عليه ، وقال له : المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات ؛ اقتضت النفس أن تقضي به وطراً ؛ فأظهرت الأعمال الصالحات ، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين !(١).

والناظر إلى حال أمتنا الآن يرى أنها في أمس الحاجة إلى هذه الأموال التي تنفق في الحج ؛ ليسد بها جوع جائع ، أو يستر بها جسد عارٍ ، أو يداوى بها جسم مريض ، أو يرفع بها بنيان مسجد ، أو ينسخ بها كلمات مصحف ، أو يكفل بها طفلاً يتيماً ، أو يعف بها شاباً ناكحاً ، أو يستر بها عرض مسلمة ، أو يمسح بها دمعة محزون ، أو يسد بها دين مدين ، أو يضمد بها جرح منكوب ، أو ينفس بها كربة مكروب ، أو يرفع بها جهل جاهل ، أو يهدي بها سبيل حائر .

أو ليست هذه الآلاف العشرة من الجنيهات أو الريالات أو الدنانير – ما يقل عنها أو ما يزيد – ألا تفعل هذه الآلاف المؤلفة والملايين « المملينة » إذا ضمت إلى بعضها ألا تفعل الأفاعيل ؟

وانظر إلى حال أمتنا يمنة ويسرة لترى أيد ممدودة ، وأفواهاً مفتوحة ، وبطوناً جائعة ، وأجساداً عارية ، وأبداناً هزيلة ، وعقولاً حائرة ، وأفئدة مضللة ، وعبادات مبتدعة ، وعقائد فاسدة ؛ أو ليس من باب أولى أن تنفق هذه الأموال في هذه الأبواب .

(١) انظر : إحياء علوم الدين / ج٣ / ص ٤٠٩ . وانظر : في فقه الأولويات / د. يوسف القرضاوي / مكتبة وهبة / ط الرابعة ٢٠٠٠ م / ص٢٨ - ٣١ .

أو ليس إخواننا في فلسطين الذين يقفون درعاً واقياً لأمة الإسلام من الصهيونية الماكرة ؛ أليسوا هم أولى بهذا المال ؟

أوليس إخواننا في الشيشان ممن يحاربون بقايا الدب الأحمر ، ويزودون عن عقيدتهم مخالب هذا الدب المفترس ؛ أليسوا هم أولى بهذا المال ؟

أوليس إخواننا في بلاد البلقان ممن يتصدون لحملات الصرب الصليبية الخبيثة ليحافظوا على ما تبقى من إسلامهم ؛ أليسوا هم أولى بهذا المال ؟

أوليس إخواننا في الهند وفي كشمير ممن يقاومون البوذية الكافرة ، والهندوسية المشركة ، أليسوا هم أولى بهذا المال ؟

وحتى لا يظن البعض أن هذا مجرد كلام مبتدع ، أو آراء تحتاج إلى دليل فنسوق إلى كل ذي عينين كلام أهل العلم على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم :

١ ـ فتوى اللجنة الدائمة :

سئلت اللجنة الدائمة عن رجل وفق للحج والعمرة ، وأحس بالحنين والطواف حول الكعبة ويريد الحج والعمرة ثانية ، فأيهما أفضل الذهاب للحج والعمرة أم التبرع بالمال لمشروع خيري للمجاهدين ؟

فأجابت اللجنة بالآتي : كل من السفر للعمرة والإنفاق في سبيل الله عمل طيب مشكور ، لكن العمرة عمل قاصر على المؤدي لها ، وأما الإنفاق في الجهاد فنفعه متعد ، فيكون البذل فيه أولى وأفضل[1] .

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة / ج ١١ / ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

٢ ـ فتوى الشيخ القرضاوي :

يقول الشيخ : فليت الذين يتطوعون بالحج – وهم الأكثرية ! – ومثلهم الذين يتطوعون بالعمرة طوال العام، وخصوصاً في شهر رمضان، يتنازلون عن حجهم وعمرتهم، ويبذلون نفقاتهما في سبيل الله، أي في إنقاذ إخوانهم المسلمين والمسلمات، الذين يتعرضون للهلاك المادي والمعنوي، وللعدوان الغاشم، الذي يستبيح كل حرماتهم، ولا يريد أن يبقي لهم من باقية، والعالم المتقدم ! يرى ويسمع، ولا يحرك ساكناً، لأن الغلبة لحق القوة، وليس لقوة الحق !!(١).

ملاحظتان :

بيد أن هناك ملاحظتين ينبغي عدم الإغفال عنهما :

الملاحظة الأولى : أن أصحاب الأموال ممن فاض عليهم الله برزقه وتتوق أنفسهم إلى زيارة بيت الله الحرام ، ويحدو بهم الشوق إلى البلد الأمين ، فعليهم أن يزوروا بيت الله الحرام حاجين كل خمسة أعوام من باب شكر الله على نعمه ، وخروجاً من الوعيد الذي جاء في قوله ﷺ : فيما يرويه عن ربه رب العزة أنه يقول : « إن عبداً صححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة يمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحروم (٢).

الملاحظة الثانية : أن من أصحاب الأموال من يضن بالنفقة إلا على زيارة بيت الله ، فإن بخلت نفسه عن إخراج المال إلا في الحج، ولم يستطع أن يخرج قيمة النفقة في سبيل الله فليذهب حاجاً عسى الله أن يرقق قلبه يوماً ما .

(١) انظر : فقه الأولويات / د : يوسف القرضاوي / ص ١٧ .

(٢) رواه ابن حبان (٩ / ١٦) . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٦٢) .

الفصل الأول
ما قبل الحج
ما يفعله من يريد الحج

أولاً : لماذا تحج ؟ ومن تقصد ؟ ومن تريد ؟ وما هي نيتك ؟
ثانيـاً : هل تبت من ذنوبك وأقلعت عن عـيـوبك ؟ ورددت المظالم إلى أهلها ؟
ثالثاً : هل طاب مالك ؟ وطابت نفقتك ؟
رابعـاً : هل أرضـيـت والديك ؟ وبررت الله فـيـهـمـا قـبل الخروج؟
خامساً : هل تعرفت على مناسك الحج ؟
سادساً : هل بحثت عن رفقة صالحة ، وأخلاء صالحين ؟
سابعاً : هل سددت ديونك إن وجدت ، وأرضـيـت غـرماءك قبل الخروج ؟
ثامناً : هل تركت وصيتك ؟
تاسعاً : هل تعلمت آداب السفر ؟
أخيراً :هل علمت ما هو الحج المبرور ؟

الفصل الأول

ما قبل الحج (ما يفعله من يريد الحج)

أخي الحبيب : يا من منّ الله عز وجل عليه ؛ وأراد أن يكون وافداً عليه في بلده الآمن ، وضيفاً عليه في بيته الحرام ؛ هل استعددت لحجك هذا كما يريد الله ؟ أم تراك عزمت القصد ، وأخرجت المال ، وقلت في قرارة نفسك : هذا كل شيء وليس في الإمكان أفضل مما كان ومما سيكون ؟

إن زيارة بيت الله في بلد الله ليست كأي زيارة ؛ إنها ذكر وعبادة ، وطاعة ووفادة ، إنها رحلة فريدة ، وطاعة ومحبة ، وسفر مقدس .

إنها زيارة يقصد فيها الكريم ، ويراد بها وجه الله العظيم .

إنها زيارة يعج فيها بالدعاء ، ويلح فيها بالرجاء .

وزيارة كهذه ينبغي أن يقف الإنسان مع نفسه قبل السفر وقفة؛ بل وقفات ، ويسأل نفسه سؤالاً ؛ بل أسئلة .

أخي الحبيب : سل نفسك هذه الأسئلة وانظر ماذا تكون الإجابة :

أولاً : لماذا تحج ؟ ومن تقصد ؟ ومن تريد ؟ وما هي نيتك ؟

ثانياً : هل تبت من ذنوبك وأقلعت عن عيوبك ؟ ورددت المظالم إلى أهلها ؟

ثالثاً : هل طاب مالك ؟ وطابت نفقتك ؟

رابعاً : هل أرضيت والديك ؟ وبررت الله فيهما قبل الخروج ؟

خامساً : هل تعرفت على مناسك الحج ؟

سادساً : هل بحثت عن رفقة صالحة ، وأخلاء صالحين ؟

سابعاً : هل سددت ديونك إن وجدت ، وأرضيت غرماءك قبل الخروج ؟

ثامناً : هل تركت وصيتك ؟

تاسعاً : هل تعلمت آداب السفر ؟

أخيراً :هل علمت ما هو الحج المبرور ؟

أولاً : لماذا تحج ؟ ومن تقصد ؟ ومن تريد ؟ وما هي نيتك ؟

هذا هو بيت القصيد ، ومربض الفرس كما يقولون ، وهو سؤال ينبغي أن يقف عنده كل حاج ، لماذا تحج ؟ هل لمجرد أن يقول الناس أنك حاج ، أم تريد أن يباهي الله به ملائكته ؟ لقد أخطأ من أراد بحجه وجه الناس لا وجه الله ، وقد ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً .

ومن هنا فعليك **أخي الحبيب** أن تجدد نيتك ، وتحسن طويتك، وتصفي قلبك ، وتنقي فؤادك ؛ و إلا رجعت من حجك بلا شيء ، وقد يرجع رفاقك بالكثير .

إن كل واحد من الناس له حجة على قدر نيته ، وفي الحديث قال ﷺ : « من غزا في سبيل الله ، ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى »(١) .

---

(١) رواه أحمد (٢٢٩٦٢) عن عبادة بن الصامت وقال محققوه حسن لغيره، ورواه النسائي (٦/ ٢٤، ٢٥) والحاكم (٢/ ١٠٩) . وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤٠١) .

وإذا كان النبي ﷺ بهذا عن المجاهد في سبيل الله تعالى؛ فرب ملب الله أعلم بنيته، ورب طائف الله أعلم بنيته ، ورب حاج الله أعلم بنيته .

وعيب على حاج لا يريد من حجته إلا اللقب ، ولا من سفره إلا النصب ، ولا من عودته إلا مسبحة صنعت في الصين ، وجلباباً صنع في اليابان ، وسجادة صنعت في إيران ، أو زجاجة ماء حمل نفسه عناء المجيء بها من زمزم ، أو تمرات رضيت نفسه بها لكونها من مدينة النبي ﷺ .

ولهذا كان سلفنا الصالح يشدد على النية في كل صغير وكبير من الأعمال ؛ قال ابن مسعود : لا ينفع قول إلا بعمل ، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية ، ولا ينفع قول وعمل ونية إلا بما وافق السنة .

فكيف **أخي الحبيب** إن كان العمل هو الحج ، وقد تكلفت ما تكلفت ؛ وفارقت فيه ما فارقت ؛ ومن فارقت ؟

وقال داود الطائي : رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية .

وقال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي لأنها تتقلب علي.

وقال ابن المبارك : رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية.

وقال الفضيل : إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك(١).

فيا من أردت الحج هذا العام أخلص عبادتك، وجدد نيتك،

(١) انظر هذه الأقوال في : جامع العلوم والحكم / ابن رجب / مؤسسة الرسالة / ط الرابعة عام ١٩٩٣م / ج١ / ص ٧٠ وما بعدها .

وإياك أن تكون ممن أراد بعمله وجه الناس وفي الحديث قال ﷺ : «إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية ، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ، ورجل يقتتل في سبيل الله ، ورجل كثير المال ، فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب . قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به أناء الليل وأطراف النهار . فيقول الله له : كذبت . وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول الله : بل أردت أن يقال : إن فلانا قارىء . فقد قيل ذلك . ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا رب . قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم وأتصدق . فيقول الله له : كذبت : وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول الله تعالى : بل أردت أن يقال : فلان جواد . فقد قيل ذاك . ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له : في ماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله تعالى له : كذبت وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول الله بل أردت أن يقال : فلان جرئ . فقد قيل ذاك . ثم ضرب رسول الله على ركبتي فقال : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة »(١) .

أم هل تريد **أخي الحبيب** أن يلقى بحجك يوم القيامة دون أن تصب منه شيئاً ؟ وكأنك لم تسمع ما روي رسول الله ﷺ : « يؤتى

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٨٢) عن أبي هريرة . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٩٤٢) .

يوم القيامة بصحف مختمة ، فتنصب بين يدي الله تعالى فيقول تبارك وتعالى : ألقوا هذه واقبلوا هذه . فتقول الملائكة : وعزتك وجلالك ما رأينا إلا خيراً ، فيقول الله عز وجل إن هذا كان لغير وجهي وإني لا أقبل إلا ما ابتغي به وجهي »(١).

فالنية النية .

والإخلاص الإخلاص .

ثانياً : هل تبت من ذنوبك وأقلعت عن عيوبك ؟

أخي الحبيب : الآن وقبل أن تتجرد من ملابسك للإحرام ؛ هلا تجردت من ذنوبك ؟ وقبل أن تطوف بالبيت ؛ هلا طفت على الناس فرددت لهم مظالمهم ؟ وقبل أن تسعى بين الصفا والمروة ؛ هلا سعيت إلى خصومك فأرضيتهم ؟ وقبل أن تشرب من زمزم ؛ هلا شربت من كأس التوبة ؟ وقبل أن تقف بعرفات ؛ هلا وقفت وقفة محاسبة مع نفسك فاتهمتها بنكران الجميل ، وأمرتها بالرجوع إلى الغفور الرحيم؟ وقبل أن ترمي الجمار ؛ هلا رميت نفسك بالتقصير ؟

إن ثانية الخطوات في هذه الرحلة المباركة هي التوبة إلى الله ، بل هي أولى الخطوات وأوسط الخطوات وآخر الخطوات ، قال ابن القيم : التوبة أول ووسط وآخر مدارج السالكين إلى الله رب العالمين(٢).

---

(١) رواه والطبراني في الأوسط (٣ / ٩٧) عن أنس وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ورواه البزار (١٠ / ٣٥٠) . وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٥١٥٤) .

(٢) انظر : تهذيب مدارج السالكين / ص ١٢١ .

إن صدق التوبة إلى الله قبل الذهاب دليل على توفيق الله لهذا العبد ، وهي نعمة عظيمة من نعم الله الجواد الكريم ، إنها نعمة يهبها ويحبها، ويأمر بها ويثيب عليها ، شرعها ويفرح بها ، وفي الحديث « لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلة بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال : من شدة الفرح - اللهم أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح »(١) .

أخي الحبيب :

لماذا لا تحسن التوبة قبل الذهاب لتقر عينك بعد الإياب ؟

اسمع إلى ابن القيم رحمه الله وهو يقول مظهراً نعم الله على عبده ليحفزه على التوبة : أمرك بسؤاله ليعطيك ، فلم تسأله ، بل أعطاك أجل العطايا بلا سؤال فلم تقبل ، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ، وتتظلم ممن لا يظلمك ، وتدع من يعاديك ويظلمك، وإن أنعم عليك بالصحة والعافية والمال والجاه ؛ استعنت بنعمه على معاصيه ؛ دعاك إلى بابه فلا وقفت عليه ولا طرقته ، ثم فتحه لك فما ولجته ، أرسل إليك رسوله يدعوك إلى دار كرامته فعصيت الرسول ، وقلت لا أترك ما أراه لشيء سمعت به .

ومع هذا فلم يؤيسك من رحمته ، بل قال : متى جئتني قبلتك، إن أتيتني ليلاً قبلتك، وإن أتيتني نهاراً قبلتك ، وإن تقربت

(١) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١٧٤٧) رواه البخاري في الدعوات رقم (٦٣٠٨) ، ومسلم رقم(٢٧٤٤) عن ابن مسعود .

مني شبراً تقربت منك ذراعاً ، وإن تقربت مني ذراعاً تقربت منك باعاً، وإن مشيت إلى هرولت إليك ، لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ؛ أتيتك بقرابها مغفرة ، ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ؛ ومن أعظم مني جوداً وكرماً ومع هذه النعم فإن العبيد يقابلون نعم المنعم بالنكران ، ويبدلون الشكر بالجحود والكفران .

عبادي يبارزونني بالعظائم وأنا أكلؤهم على فرشهم ، إني والجن والإنس في نبأ عظيم ؛ أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي ، خيري إلى العباد نازل وشرهم إلى صاعد ، أتحبب إليهم بنعمى وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إلى بالمعاصي ، وهم أفقر شئ إلى، من أقبل إليّ تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد ، ومن أراد رضاي أردت ما يريد، ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد .

أهل ذكرى أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهلي كرامتي وأهل معصيتي لا اقنطهم من رحمتي ، إن تابوا إليّ فأنا حبيبهم ، فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب .

من آثرني على سواي آثرته على سواه ، الحسنة عندي بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، والسيئة عندي بواحدة ، فإن ندم عليها واستغفرني غفرتها له ، أشكر اليسير من العمل وأغفر الكثير من الزلل ، رحمتي سبقت غضبي وحلمي سبق مؤاخذتي وعفوي سبق عقوبتي(١) .

(١) تهذيب مدارج السالكين / ص ١٢٧ وما بعدها باختصار .

أخي الحبيب : عجل بالتوبة فإنك لا تضمن أن تصل إلى بيت الله أم لا ؟ فإذا وصلت وصلت بقلب تائب وجسد طاهر ، ولسان ذاكر خاشع ، فأحرمت تائباً ، ولبيت طاهراً ، وذكرت خاشعاً ، وإن لم تصل فحسبك هذه التوبة ، وتكفيك هذه النية ، ولله در ابن رجب حين قال : التوبة التوبة قبل أن يصل إليكم من الموت النوبة .

الإنابة الإنابة قبل غلق باب الإجابة .

الإفاقة الإفاقة فقد قرب وقت الفاقة .

ما أحسن قلق التواب ، ما أحلى قدوم الغياب ! ما أجمل وقوفهم بالباب .

وقد قال الشاعر :

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ولو تمنعت بالحجاب والحرس

وقال لقمان لابنه : يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة .

وقال بعض الحكماء : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل (١).

ولله در القائل :

قل للمفرط يستعد ما من ورود الموت بد
قد أخلق الدهر الشباب وما مضى لا يسترد
أو ما يخاف أخو المعاصي من له البطش الأشد
يوماً يعاين موقفاً فيه خطوب لا تحد
فإلام يشتغل الفتى في لهو والأمر جد
أبداً مواعيد الزمان لأهله تعب وكد

---

(١) راجع : لطائف المعارف / ابن رجب الحنبلي / باب الحث على التوبة .

ثالثاً : هل طاب مالك ؟ وطابت نفقتك ؟

ليكن في خلدك أيها الوافد على الله أن الله جل جلاله لا يقبل نفقة خبيثة ، بل كما قال ﷺ : « طيب لا يقبل إلا طيباً » (١).

فانظر إلى مالك ؛ وقلب نفقتك ؛ وانظر من أين جمعتها ؟ ومن أين اكتسبتها ؟ فإن كان فيها درهم حرام فخلص النفقة منه ، وطهر المال منه ، وجنب حجك إياه .

ولا يكن مشركو العرب أفطن منك لهذا الأمر ؛ فإنهم لما أرادوا بناء الكعبة قبل البعثة تعاهدوا فيما بينهم واشترطوا على أنفسهم ألا يدخلوا في بنائها إلا نفقة طيبة ، ولا يدخلها مهر بغي ، ولا بيع ربا ولا مظلمة لأحد ؛ ولهذا لما قصرت بهم النفقة الطاهرة وعجز بهم المال الطيب الحلال ؛ أخرجوا الحجر من الكعبة وبنوا عليه جداراً ليعلم أنه من الكعبة(٢).

فهل يفطن أهل الجاهلية لهذا ولا تفطن أنت له ؟ وأنت الذي تفد إلى الله مدعياً أن ذلك على سنة رسوله ﷺ ، وتلبية لنداء الخليل إبراهيم عليه السلام، فإن كان ذلك كما تدعي ؛ فاطب نفقتك وطهر مالك يتقبل الله منك .

وروي في مسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « من اشترى ثوباً بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام ، لم يقبل الله له صلاة ما كان

(١) رواه مسلم في الزكاة رقم (١٠١٥) عن أبي هريرة .
(٢) انظر : الرحيق المختوم / صفي الرحمن المباركفوري / ط دار الفكر / ط الأولى عام ١٩٩١م / ص ٥٢ .

عليه » ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال : صمتا إن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ(١).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا خرج الرجل حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز ؛ فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء ، لبيك وسعديك ؛ زادك حلال وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور ، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز ، فنادى لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لا لبيك ولا سعديك ؛ زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك غير مبرور »(٢).

واعلم أخي الحبيب : أن الحج من المال الحرام مختلف في سقوط الفرض به.

هل يسقط أم لا (٣) ؟ فمن العلماء من قال بسقوط الحج من المال الحرام ، ومنهم من قال : بأنه لا يسقط ويبقى في ذمة العبد حج الفريضة .

قال ابن رجب : وهذه الأحاديث المذكورة تدل على أنه لا يتقبل العمل مع مباشرة الحرام(٤).

---

(١) رواه أحمد (٥٧٣٢) وقال محققوه : إسناده ضعيف جدا ، ورواه البيهقي في الشعب (٦١١٤) . وذكره الألباني في الضعيفة رقم ٨٤٤ .

(٢) رواه الطبراني (٥/ ٢٥١) . وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف (١٠/ ٢٩٢) وذكره الألباني في الضعيفة رقم ٤٤٠٣ .

(٣) انظر : جامع العلوم والحكم / ج١ / ص ٢٦٢ .

(٤) انظر : جامع العلوم والحكم / ج١ / ص ٢٦٢ .

فلماذا تنزل نفسك أيها الأخ الحبيب هذه المنزلة ؛ بين قبول وعدم قبول ؟ إنك في غنية عن هذا بتطيب النفقة وطيب المال .

ورحم الله أبا عبد الله النباجي حين قال : خمس خصال بها تمام العمل :

١ – الإيمان بمعرفة الله عز وجل .

٢ – ومعرفة الحق .

٣ – وإخلاص العمل لله .

٤ – والعمل على السنة .

٥ – وأكل الحلال .

فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل .

وذلك أنك إذا عرفت الله عز وجل ولم تعرف الحق ؛ لم تنتفع .

وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله ؛ لم تنتفع .

وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل ؛ لم تنتفع .

وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة . لم تنتفع .

وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال ؛ لم تنتفع[1].

ولله در القائل :

إذا حججت بمال أصله سحت — فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله إلا كل طيبة — ما كل من حج بيت الله مبرور
لا يقبل الله إلا كل صالحة — ما كل ما قدم الإنسان مبرور

(١) انظر : جامع العلوم والحكم /ج١/ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

فالحلال الحلال يقبل حجك .
والطيب الطيب يرفع دعاؤك .
والطاهر الطاهر تقبل دعوتك .

رابعاً : هل أرضيت والديك ؟ وبررت الله فيهما قبل الخروج ؟

أخي الحبيب : إذا كان رضا الناس قبل الخروج إلى الحج وطلب العفو منهم أمر واجب ، فإن رضا الوالدين أوجب وأوكد . وإن طاعتهما جهاد ، فليكن حجك جهاد ، ولتكن طاعتك لهما جهاد ، لتجمع جهاداً إلى جهاد ، وتضم خيراً إلى خير .

وقد جاء في حديث ابن عمرو قال : أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى . قال : فهل لك من والديك أحد حي ؟

قال : نعم بل كلاهما .
قال : فتبتغي الأجر من الله تعالى ؟
قال : نعم .
قال : فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما .
وفي رواية ففيهما فجاهد[1] .

وليكن في خلد كل حاج أن في الجنة باب هو أوسط أبوابها اسمه « الوالد » ؛ لن يدخله إلا طائع والديه . جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه : أن رجلاً أتاه فقال : إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها ؟ فقال

(١) رواه مسلم في البر والصلة رقم (٢٥٤٩) عن ابن عمرو .

أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فاضع ذلك الباب أو احفظه »(١).

فاحرص أخي الحاج على استرضاء والديك .

وقبل أيديهما قبل الخروج .

واطلب منهما دعاء مولاك أن يكتب لك القبول ،والسعي المشكور ، والحج المبرور.

خامساً : هل تعرفت على مناسك الحج ؟

من غرائب الحج وعجائبه التي لا تنقضي ، أن يخرج كثير من الحجاج إلى بيت الله الحرام جاهلين النسك ، ومن قدر الله له زيارة بيته الحرام وسمع أسئلة الحجيج وجد أسئلة هي ألف باء الإسلام .

ومن العجب أن ترى من الحجاج من هو عليم بأمر دنياه جاهلاً بأمر دينه ، خبير بأمر عاجلته ، معرض عن أمر الآجلة . وقد حذر النبي ﷺ من هذا الصنف من الناس ونعته بأشنع النعوت وأقبح الأوصاف فقال ﷺ : « إن الله يبغض كل جعظري (٢) جواظ (٣)، صخاب في الأسواق (٤)، جيفة بالليل حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة »(٥).

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٠٠) وقال حديث صحيح ، وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٥٤٨) .

(٢) الجعظري : الأكول الغليظ ، وقيل : القصير المُنتفخ بما ليس عنده .

(٣) الجَوّاظ : الكثير اللَّحْم المختال في مِشْيَته .

(٤) الصَّخَب والسَّخَب : الضَّجَّة واختلاط الأصوات للخِصام ، وفَعُول وفَعّال : للمبالغة.

(٥) رواه ابن حبان(١/ ٢٧٣) والبيهقي في الكبرى (١٠ / ١٩٤) عن أبي هريرة. وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٧٨) ، ثم تراجع الشيخ وضعفه في الضعيفة (٢٣٠٤) .

يقول عبد السلام البسيوني عن هذا الصنف : إن من الناس من يذهب إلى الحج وهو لا يفرق بين منى (مكة) ومنى واصف ، وربما اعتقد أن مزدلفة اسم لمحطة سكة حديد بين مكة وجدة ، وأن « عرفات » التي يقف عليها الحجاج هي الجدة الكبرى لأبي عمار!!

وربما ظن المسكين أنه ينال لقب « حاج » بمجرد وصوله إلى مطار جدة الدولي ؛ فأعظم الشعائر عنده أن يصل مكة ، ويشتري سجادة صلاة ، ومسبحة ، ويحمل " مطّارة " ماء زمزم ليصير بذلك حاجاً (وابن حاج كمان) !!

وإن الفاحص المتأمل ليرى من أفعال بعض الحجاج ما يجعل الحجر يستلقي على قفاه من شدة الضحك (ماركة شر البلية) . . .

وصل على النبي سعي أيها القارئ ، واحتمل هذه (الوقائع الحقيقية) :

● شاباً ما شاء الله « مثل الجدار » رافق مجموعة من المسافرين إلى مطار جدة، ثم واصل الطريق معهم إلى مكة المكرمة . . . دفع الفضول بأحدهم ليسأله : لماذا لم تنو الحج هذا العام ما دمت داخلاً مكة ؟!

– أنا نويت الحج فعلاً .

– هه ؟ نويت الحج ؟ كيف وأنت « على سنجة عشرة » بالقميص والبنطلون؟

فقال « أيضاً ببراءة يحسد عليها » : ألا ينفع أن أحج بالقميص والبنطلون ؟! هو لازم الفوطة البيضا دي يعني ؟!

● وقف الشيخ يشرح لمجموعة من الحجاج تركب « باصاً » ماذا

عليهم أن يفعلوا بعد تجاوز الميقات .. وركز – بقدر الله تعالى – على قضية ترك الطيب :

ممنوع استخدام العطور – ممنوع الكلونيا – ممنوع العطر – donot use any perfume .

ونزل الشيخ من الباص قليلاً ثم عاد ، فإذا أحدهم قد أمسك بزجاجة عطر « بلية » ودار على أهل الباص - جميعاً - فطيبهم جزاه الله خيراً ، ثم عاد هاشاً باشاً ، فرحاً بإنجازه التاريخي وهو يقول في سعادة : لقد طيبت الركاب جميعاً !!(١) .

أخي الحبيب : قبل أن تقع في المحظور ، وتترك الواجب ، وتضيع المسنون ، وينقص أجرك ، ويقل ثوابك ، وتضعف مثوبتك ، قبل هذا كله احرص على تعلم مناسك الحج ، فوالله ما أيسرها ، ووالله ما أسهلها .

وخبرني بالله عليك ماذا لو اشترى رجل سيارة يقودها بنفسه قبل أن يتعلم القيادة ؟

ماذا لو اشترى شخص جهاز « تليفون » وليس له اشتراك في شبكة الاتصالات ؟

ماذا لو اشترى إنسان جهاز « تلفاز » دون أن تدخل الكهرباء بيته ؟

ماذا لو ألقى إنسان بنفسه في البحر وهو لا يحسن السباحة ؟

إن ذهاب الحاج إلى بيت الله الحرام دون أن يتعلم المناسك هو أشبه بهؤلاء القوم ؛ بل أشد ولا شك أنه سيفوته الخير الكثير .

(١) انظر : مقالة الشيخ عبد السلام البسيوني بعنوان « الحاج أستيكة » .

فتعلم **أخي الحبيب** نسكك تنل أجرك .

وتعرف على مناسك الحج تظفر من الله بالأجر .

سادساً : هل بحثت عن رفقة صالحة ، وأخلاء صالحين ؟

أخي الحبيب : إن كل سفر يحتاج إلى رفيق ، ولكل سفرة ما يناسبها ، وسفر إلى بيت الله الحرام يحتاج إلى رفقة صالحة ، وخلة مؤمنة ، وقد أوصى النبي ﷺ بذلك فقال : « لا تصاحب إلا مؤمناً »(١) .

والصاحب الذي تحتاج إليه في الحج إنه من النوعية التي قال فيها الفاروق عمر موصياً أحد الناس : عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم ؛ فإنهم زينة في الرخاء ، وعدة في البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ، ولا أمين إلا من خشي الله ، فلا تصاحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى .

إنك في سفرك **أخي الحبيب** تحتاج إلى من قال فيه علي رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

---

(١) رواه أحمد (١١٣٣٧) عن أبي سعيد ، وقال محققوه : إسناده حسن ، ورواه أبو داود (٤٨٣٢) والترمذي (٢٣٩٥) ، وذكره الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٠٤٥) .

ولقد صدق الرسول ﷺ يوم قال : « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »(١).

وقال ﷺ : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ؛ فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة »(٢).

ولله در القائل :

اصحب خيار الناس حيث صحبتهم — خير الصحابة من يكون عفيفاً

والناس مثل دراهم ميزتها — فوجدت منها فضة وزيوفاً

وقد أحسن علقمة بن لبيد العطاردي حين أوصى ابنه فقال : يابني إذا نزغتك إلى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب منهم من :

- إن صحبته زانك .
- وإن خدمته صانك .
- وإن أصابتك خصاصة مانك(٣).
- وإن قلت صدق قولك .
- وإن صلت شد صولك .
- وإن مددت يدك بفضل مدها .

---

(١) رواه أحمد (٨٠٢٨) عن أبي هريرة ، وقال محققوه : إسناده جيد ، ورواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) ، وذكره الألباني في صحيح أبي داود برقم (٤٠٤٦) .

(٢) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان(١٦٨٧) ، البخاري في الذبائح رقم (٥٥٣٤) ، ومسلم في البر والصلة رقم (٢٦٢٨) .

(٣) الخصاصة : الفقر والحاجة ، مانك : أنفق عليك واحتمل مؤنتك .

- وإن رأى منك حسنة عدها .
- وإن سألته أعطاك .
- وإن سكت عنه ابتداك .
- وإن نزلت بك إحدى الملمات آساك .
- من لا يأتيك منه البوائق .
- ولا يخذلك عند الحقائق .
- إن حاول حويلا آمرك [١].
- وإن تنازعتما منفساً آثرك [٢].

وتأمل قول ابن عطاء الله في حكمه : « لا تصحب من لا ينهضك حاله ,ولا يدلك على الله مقاله . ربما كنت مسيئاً فأراك الإحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالاً منك »[٣].

هذا **أخي الحبيب** الرفيق الذي أنت في حاجة إليه، وإياك وصاحب إن شددته إلى البيت الحرام ساقك إلى السوق ، وإن رمت القرآن أراد الدكان ، وإن شغلته بالطواف شغلك بالطعام والمنام .

فاحرص على من إذا ذكرت الله أعانك، وإن نسيت ذكرك، واعلم أنها رحلة معدودة الأيام والساعات، نفيسة الدقائق واللحظات، فإياك إياك ومن يضيعها ، والزم من ينميها لك ، ويتاجر لك وله فيها بالطاعة .

---

(١) حاول حويلا : أراد شيئاً . وآمرك : شاورك .
(٢) منفسا : الشيء النفيس .
(٣) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ابن عطاء الله السكندري / تعليق : حسن السماحي / الطبعة الأولى ١٩٩٨ م / ص ٢٠ .

سابعاً : هل سددت ديونك إن وجدت ، وأرضيت غرماءك قبل الخروج ؟

أخي الحبيب : إن كان عليك دين فالأولى بك أن تسدد دين المخلوق قبل أداء دين الخالق ، واسترضاء الخلق بما ليس معصية لله هو طاعة لله تعالى، واعلم رعاك الله أن من شروط الحج الاستطاعة ؛ فإن لم يقدر لك استطاعة فلا حج عليك ، ولكن إن أردت وعزمت ؛ وكان دينك مؤجلاً ولم يحضر أجله ، فاستأذن غرماءك واسترضهم ، واعلم أن للدين شأن خطير ؛ فعن محمد بن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ فنظر إلى السماء ثم وضع يده على جبينه ثم قال : « سبحان الله ماذا أنزل من التشديد ، قال محمد : ففزعنا وخفنا وسكتنا وأطرقنا ، فلما كان اليوم الثاني قلت : يا رسول الله ما التشديد الذي نزل ؟ قال : والذي نفسي بيده لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيى ثم قتل ثم أحيى ثم قتل وعليه دين ؛ ما دخل الجنة إلا أن يقضى عنه دينه »[(1)].

وكان النبي ﷺ يمتنع عن الصلاة على صاحب الدين في أول أمره ، فعن جابر قال : مات رجل على عهد رسول الله ﷺ فكفناه وحنطناه ودعونا رسول الله فجاء ، فلما وصل إلينا ثم خطا خطوات ثم قال : « على صاحبكم دين ؟ قلنا نعم يا رسول الله نعم ديناران،

---

(١) رواه أحمد (٢٢٤٩٣) عن محمد بن عبد الله بن جحش، وقال محققوه: ضعيف بهذه السياقة، ورواه النسائي (٧/ ٣١٤) والحاكم (٢ / ٢٥)، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٦٠٠) .

فقال هل ترك وفاء ؟ ثم قال : صلوا على صاحبكم ، فقال أبو قتادة : يا رسول الله هما عليّ فصل عليه ، فقال الرسول ﷺ : هما في مالك؟ فاستدار النبي وصلى عليه ، ثم لقي في اليوم الثاني أبا قتادة فقال : هل أديت الدين يا أبا قتادة ؟ فقال أبو قتادة : إنه مات البارحة يا رسول الله ، فلما كان اليوم التالي قال : أديت الدين يا أبا قتادة ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال الرسول ﷺ : الآن بردت جلده »(١).

وكان ذلك في أول الأمر ، ولما فتح الله على نبيه كان يقضي هو الدين عمن لا مال له ، فعن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه دين، فيسأل : (هل ترك لدينه فضلا؟) . فإن حدث أنه ترك وفاء صلى، وإلا، قال للمسلمين : (صلوا على صاحبكم) . فلما فتح الله عليه الفتوح، قال : (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك دينا فعلي قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته) (٢).

واعلم هداك الله أن الله لا يغفر للشهيد دينه ، وإن تكفل بمغفرة ما دون ذلك إلا أنه لا يغفر له حتى يقضى دينه فعن جابر : أن رجلا قال : يا رسول الله : أرأيت إن قاتلت في سبيل الله بنفسي ومالي ثم قتلت صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر أأدخل الجنة ؟ فقال النبي ﷺ : « نعم إلا إذا كان عليك دين وليس عندك وفاء » (٣) وفي

---

(١) قال الألباني في الخلاصة إسناده حسن .
(٢) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١٠٤٤) رواه البخاري في الكفالة (٢٢٩٨) ومسلم في الفرائض(١٦١٩) عن أبي هريرة .
(٣) مسلم في الإمارة برقم (١٨٨٥) عن أبي قتادة .

رواية «سارني بذلك جبريل» . وعن سهيل بن حنيف قال : قال رسول الله ﷺ : « يغفر للشهيد كل ذنبه إلا الدين»[(١)].

وكان النبي ﷺ يشدد على أمر الدين كما رأينا ؛ لأنه من حقوق العباد ؛ والأصل في حقوق العباد أنها مبنية على المشاحجة والمماسكة ، وحقوق الله مبنية على المسامحة والمساهلة .

فاحرص هداك الله على سداد دينك ، واسترضاء غرمائك قبل السفر .

ثامناً : هل تركت وصيتك ؟

أخي الحبيب : إذا عزمت على السفر فاكتب وصيتك ، ولا تتوانى في ذلك ؛ فإنك لا تدري أن يحل أجلك ، أو تأتي منيتك ، وهي والله نعمة أن يوافيك أجلك بعيداً عن مسقط رأسك ؛ ويكفيك أن المرأ يقاس له في الجنة ما بين مولده ومماته .

وقد حبب النبي ﷺ الموت في المدينة فقال : «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل فإني أشفع لمن مات فيها»[(٢)].

وقد فطن عمر ﷺ لهذا الفضل فكان يقول في دعائه : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ[(٣)].

ولما قيل له تريد أن تموت شهيداً وفي بلد نبيك ؟ قال ﷺ بثقة المؤمن وإيمان الواثق : هي إلى الله إن شاء فعلها .

---

(١) مسلم في الإمارة برقم (١٨٨٦) عن عبد الله بن عمرو .
(٢) رواه أحمد (٥٤٣٨) عن ابن عمر ، وقال مخرجو المسند : إسناده صحيح على شرط البخاري، ورواه ابن ماجه (٣١١٢) والترمذي (٣٩١٧) ، وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٢٥٢٦) .
(٣) رواه البخاري في فضائل المدينة رقم (١٨٩٠) .

و إن تم هذا للعبد ومات محرماً متلبساً بهذه العبادة فله البشرى أن يبعث يوم القيامة ملبياً يقول : لبيك اللهم لبيك ، والناس من حوله يقولون الجوع الجوع العطش العطش .

ولما مات رجل في حجة الوداع مع النبي ﷺ نادى أصحابه وقال : اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ، ولا تغمروا رأسه ، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً(١) .

هذا وقد شدد النبي ﷺ على أمر الوصية فقال : « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين - وفي رواية ثلاث ليال - إلا ووصيته مكتوبة عنده » . قال ابن عمر : ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندي وصيتي مكتوبة(٢) .

واحذر **أخي الحبيب** أن تجور في وصيتك ، فقد قال النبي ﷺ : « إن الرجل ليعمل - أو المرأة - بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار »(٣) .

وفي رواية : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى حاف في وصيته ، فيختم له بشر عمله ؛ فيدخل النار، وإن

---

(١) متفق عليه ، البخاري في جزاء الصيد رقم (١٨٥٠) ، ومسلم في الحج (١٢٠٦) .

(٢) متفق عليه ، البخاري في الوصايا (٢٧٣٨) ، ومسلم في الوصية (١٦٢٧) .

(٣) رواه أبو داود (٢٨٦٧) والترمذي (٢١١٧) وقال حديث حسن غريب وابن ماجه(٢٧٠٤) عن أبي هريرة، وذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم(١٤٥٧) .

الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة ؛ فيعدل في وصيته، فيختم له بخير عمله ؛ فيدخل الجنة»(١).

تاسعاً : هل تعلمت آداب السفر ؟

أخي الحبيب : إن خروجك إلى بيت الله أينما كنت سفر ، وقد حث النبي ﷺ أصحابه على السفر فقال : «اغزوا تغنموا، وسافروا تستغنوا، وصوموا تصحوا»(٢).

ولله در الشافعي حين قال :

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش بالنصب

إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

ولقد عد النبي ﷺ السفر قطعة من العذاب (٣) ولذا كانت أسفار النبي ﷺ كما ذكر ابن القيم دائرة بين أربعة أسفار : سفره لهجرته ، وسفره للجهاد وهو أكثرها، وسفره للعمرة ، وسفره للحج(٤).

كما كانت له ﷺ أسفار غير هذه الأربعة ؛ وهي للتجارة وطلب الرزق ، و كان ذلك قبل البعثة .

(١) رواه أحمد (٧٧٤٢) عن جابر ، وقال محققوه : إسناده ضعيف ، ورواه ابن ماجه (٢٧٠٤) ورواه أبو داود مختصراً(٢٨٦٧) والترمذي (٢١١٧)، وذكره الألباني في ضعيف ابن ماجه برقم(٥٩١) .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨ / ١٧٤)عن أبي هريرة ، وقال المنذري في الترغيب رجاله ثقات ، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب (٥٧٣) .

(٣) رواه البخاري في الأطعمة رقم (٥٤٢٩) ومسلم في الإمارة (١٩٢٧) عن أبي هريرة.

(٤) انظر : زاد المعاد / ابن القيم / تحقيق شعيب الأرنؤط و عبد القادر الأرنؤوط / ط مؤسسة الرسالة / ط الثانية / عام ١٩٩٧ م / ج٢ / ص ٤٤٤ .

وإذا كان الحاج قد عزم على السفر فعليه أن يتأدب بآداب الحبيب ﷺ في السفر ، وقد جمع الإمام النووي هذه الآداب في كتابه الأذكار ؛ نوجزها فيما يلي :

١ - أن يصلي ركعتي الاستخارة .

٢ - أن يكتب وصيته .

٣ - أن يسترضي كل من كانت بينه معاملة في شيء .

٤ - أن يطلب من الله المعونة في السفر .

٥ - أن يتعلم ما يحتاج إليه في سفره .

٦ - أن يصلي ركعتين إذا أراد الخروج ، وفي الحديث « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً »(١) .

٧ - إذا هم بالخروج ودع أهله قائلاً لهم : « أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه »(٢) . وليقل مودعه : « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »(٣) .

٨ - أن يطلب النصيحة من أهل الخير والصلاح .

٩ - فإذا خرج من بيته قال : « اللهم إني أعوذ بك من أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل

(١) رواه ابن أبي شيبة (١ / ٤٢٤) عن المطعم بن المقدام، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٣٧٢) .

(٢) رواه أحمد (٩٢٣٠) عن أبي هريرة، وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد جيد، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة(٥٠٨) .

(٣) رواه أحمد (٤٧٨١) عن ابن عمر وقال محققوه: حديث صحيح ورواه النسائي في الكبرى (١٠٣٤٩) وأبو داود (٢٦٠٠) . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(١٦) .

عليّ »[1] ويقول : « بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله »[2] .

١٠ - إذا ركب دابته « سيارة - أم باخرة - أم قطاراً - أم طائرة » فليقل : « بسم الله والحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون . الحمد لله . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ثم اضحك [3] ثم ليقل : اللهم إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل[4] .

١١ -إذا صعد مرتفعاً فليقل : الله أكبر [5] وإذا هبط فليقل : سبحان الله .

١٢ -إذا رأى قرية أو مدينة أردت دخولها أم لا فليقل : اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ، والأرضين السبع وما أقللن ، ورب

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٩٤) و رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أم سلمة . وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم(٤٢٤٨) .

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٩٥) والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٧٢٥) .

(٣) رواه أحمد (٧٥٣) عن علي ، وقال محققوه : حسن لغيره ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي . وقد سأل علي ﷺ رسول الله ﷺ عن أي شيء تضحك فقال : إن ربك يعجب من عبده إذا قال : اغفر لي ذنوبي . يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري . وذكره الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٦٧) .

(٤) رواه مسلم في الحج رقم (١٣٤٢) عن علي .

(٥) رواه البخاري في الجهاد والسير رقم(٢٩٩٥) عن عبد الله بن عمر .

الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها[1] .

١٣ - فإذا خفت ناساً أو غيرهم فقل : اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم [2] .

١٤ - فإذا نزل منزلاً فليقل : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق[3] .

١٥ - فإذا أقبل عليه الليل فليقل : يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك ، أعوذ بك من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد [4] .

١٦ - فإذا عاد إلى بلده فليقل : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون [5] وليقل : توباً توباً لربنا أوباً . لا يغادر حوباً [6] .

١٧ - فإذا عاد الحاج يقال له : قبل الله حجك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك .

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١٠٣٧٧) . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(٢٧٥٩) .

(٢) رواه أحمد (١٩٧٢٠) عن عبد الله بن قيس، وقال محققوه: حديث حسن، ورواه أبو داود (١٥٣٧) والنسائي في الكبرى (٨٦٣١) . وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم(١٣٦٠) .

(٣) رواه مسلم في الإيمان (٥٥) عن خولة بنت حكيم .

(٤) رواه أحمد (٦١٦١) عن ابن عمر ، وقال محققوه: إسناده ضعيف، ورواه أبو داود (٢٦٠٣) والنسائي في الكبرى (١٠٣٩٨) . وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة رقم(٤٨٣٧) .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) رواه أحمد في المسند (٢٣١١) عن ابن عباس، وقال محققوه: حديث حسن، ورواه أبو يعلى (٢٣٥٣) وابن حبان (٢٧١٦) والحاكم (١ / ٤٨٨) .

وأخيراً هل علمت ما هو الحج المبرور ؟

جـاء في الحـديث الصـحـيح « الحج المبـرور ليس له جـزاء إلا الجنة »(١) وقد عد النبي ﷺ الحج المبرور بأنه أفضل الجهاد فقال ﷺ كما في حديث عائشة : « لكن أفضل الجهاد حج مبرور »(٢) .

قال القرطبي : قال الفقهاء : الحج المبرور : هو الذي لم يعص الله تعالى فيه أثناء أدائه .

وقال الفراء : هو الذي لم يعص الله سبحانه بعده .

قال الحسن : الحج المبرور : هو أن يرجع صاحبه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة (٣) .

وهنا ينبغي أن نفرق بين حجين :

الأول : حج مبرور .

الثاني : حج مسقط للفرض .

فقد يحج الحاج فلا يأخذ من حجه إلا سقوط الفريضة عنه ، لكنه لم ينل بر الحج ، ولا الحج المبرور .

وفي مصنف عبد الرزاق أن مجاهداً قال لابن عمر : ما أكثر الحاج ! فقال ابن عمر : ما أقلهم . ولكن قل ما أكثر الركب .

ولكي يكون حجك أيها الأخ الحبيب مبروراً فعليك بالآتي :

١ - أخلص النية لله ، وفي الحديث « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »(٤) .

٢ - تابع نبيك محمداً ﷺ في حجك ، وفي الحديث «لتأخذوا

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / ج ٢ / ص ٤٠٨ .

(٤) رواه مسلم في الزهد رقم(٢٩٨٥) عن أبي هريرة .

عني مناسككم »[١] . وقال « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[٢] .

٣ ـ تب إلى الله توبة نصوحاً . ٤ ـ أطب نفقتك تبرر حجتك .

٥ ـ أرض والديك يرض الله عنك .

٦ ـ تعرف على النسك قبل الدخول فيه .

٧ ـ استوف الأركان والواجبات والسنن والمستحبات ، وتجنب المنهيات والمكروهات .

٨ ـ استشعر عظمة الحج فليس الحج رحلة سياحية ، أو نزهة خلوية ؛ بل هو من الشعائر الربانية قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج : ٣٢] .

٩ ـ أكثر من ذكر الله فاقرأ القرآن واستغفر الله .

١٠ ـ احذر من مقارفة الذنوب والمعاصي فأنت في خير زمان وأفضل مكان ، والذنوب إنما تتعاظم بأمرين : بأفضلية الزمان ، أو بشرف المكان ، فكيف وقد اجتمع الأمران ؟ قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الحج : ٢٥] .

١٢ ـ تخلق بأخلاق الحج لا بأخلاق الناس ومن هذه الأخلاق :

● **العفة** : وفي الحديث قال ﷺ : « من حج فلم يرفث[٣] ولم يفسق[٤] ؛ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[٥] .

---

(١) رواه مسلم في الحج رقم (١٢٩٧) عن جابر .
(٢) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١١٢٠) رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧) ومسلم في الأقضية (١٧١٨) عن عائشة .
(٣) الرفث : ما قبح من الكلام ، وهو الإفحاش في القول ويقال أنه : التصريح بالهجر من الكلام .
(٤) الفسوق : يعني إتيان معاصي الله عز وجل .
(٥) سبق تخريجه .

● **الحلم** : قال تعالى : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

● **السكينة** : وفي الحديث قال ﷺ : « أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع[١، ٢] ».

● **البذل والعطاء** : فقد جاء في حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قالوا وما الحج المبرور يا رسول الله ؟ قال : إطعام الطعام وإفشاء السلام . وفي رواية وطيب الكلام »[٣].

وفي رواية : « بر الحج إطعام الطعام ، وطيب الكلام ».

قال ابن رجب رحمه الله : ومن أجمع خصال البر التي يحتاج إليها الحاج ما وصى به النبي ﷺ أبا جُرَي الهجمي فقال : لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تعطي صلة الحبل، ولو أن تعطي شسع النعل، ولو أن تنزع من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تنحي الشيء من طريق الناس يؤذيهم، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منطلق ، ولو أن تلقى أخاك فتسلم عليه، ولو أن تؤنس الناعت في الأرض، وإن سبك رجل بشيء يعلمه فيك وأنت تعلم فيه نحوه؛ فلا تسبه فيكون أجره لك ووزره عليه، وما سر أذنك أن تسمعه فاعمل به، وما ساء أذنك أن تسمعه فاجتنبه »[٤، ٥].

(١) الإيضاع : السير السريع .
(٢) رواه البخاري في الحج رقم (١٦٧١) عن ابن عباس.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) رواه أحمد (١٥٩٥٥) عن أبي جري الهجمي: وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الصحيحين، والبيهقي في السنن (١٠ / ٢٣٦) . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٤٢٢) .
(٥) انظر : لطائف المعارف / ص ٤١١.

الفصل الثاني
كيف تعتمر وتحج ؟

محظورات الإحرام .

من أين يحرم من أراد الحج أو العمرة ؟

أنواع النسك .

كيف تعتمر ؟

كيف تحج ؟

أعمال اليوم الأول : يوم التروية ٨ ذي الحجة .

أعمال اليوم الثاني : يوم عرفة ٩ ذي الحجة .

أعمال اليوم الثالث : يوم النحر ١٠ ذي الحجة .

أعمال اليوم الرابع : يوم القر ١١ ذي الحجة .

أعمال اليوم الخامس : يوم النفر الأول ١٢ ذي الحجة .

أعمال اليوم السادس : يوم النفر الثاني ١٣ ذي الحجة .

زيارة المسجد النبوي .

الفصل الثاني

كيف تعتمر وتحج ؟

أخي الحبيب : لم يكن هناك هدي أيسر على قلوب الناس من هدي رسول الله ﷺ ، وما أعظمه ﷺ حين يأتي إليه الرجل مشركاً فيمسي مؤمناً أو يصبح موحداً ، وما هي إلا ساعات أو أيام حتى يتعلم الرجل فيها قواعد العقائد ، وفرائض العبادات ، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب ، ثم يعود إلى قومه معلماً من قبل النبي ﷺ ، ورسولاً من عند رسول الله ﷺ .

ومع مرور الأيام ، وبعد الناس عن أمور دينهم ، أصبح البعض يتصور أن أحكام الشريعة أشبه بنظريات هندسية ، أو قوانين كيميائية، أو معادلات فيزيائية ، أو مسائل رياضية ، أو مباحث لوغاريتمية .

وأصبح أحدهم إذا أمرته بالوضوء كأنك ألقيت به في البحر ، وإذا أمرته بالصلاة كأنك تكلفه بما لا طاقة لأحد من البشرية ، أما إذا أمرته بالحج فكأنك أمرته بتوحيد العرب ، أو تجميع المسلمين ، أو حتى إعادة القدس من أيد الغاصبين .

وقد يكون البعض محقاً فيما اعتقده أو ذهب إليه خصوصاً إن دله أحدنا على كتاب من كتب الفقه التي تعرف بالشرح والتطويل ، والإسهاب والتفريع ، والتفصيل والتبويب ، فيجد نفسه بعد المقدمات أمام شروط وأركان ، وبين يديه فروض وواجبات ، ثم يعرج إلى السنن

والمستحبات ، ولا ينتهي به الأمر حتى يقف على المكروهات والمبطلات ، والممنوعات والمحرمات ، وفي كل نقطة مما مضى يرى تفريعات تلدها تفريعات ؛ لتلد هي الأخرى حواشي عليها تعليقات، ملئت هي الأخرى بالشروح والتفصيلات ، والله أعلم بما هو آت .

وعلى العكس انظر إلى هدي النبي ﷺ وهو يعلم رجلاً كيف يصلي ؟ فما زاد في تعليمه عن بضعة أسطر ، يحصي المستمع كلماتها ؛ قبل أن يفرغ الكاتب من تدوينها .

يخبر أبو هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل على النبي ﷺ فسلم فرد عليه ، وقال : « ارجع فصل فإنك لم تصل ، فرجع يصلي كما صلى ، ثم قدم على النبي ﷺ فقال : ارجع فصل فإنك لم تصل . ثلاثا . فقال : والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني . فقال : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، وافعل ذلك في صلاتك كلها »(١) .

ولهذا ففي هذه الصفحات سأبين كيفية الاعتمار والحج ، مبتعداً عن اختلاف المذاهب ، وتعدد الآراء ، وتباين الروايات ، وكثرة التفريعات ، غير ذاكر الشروط والأركان ، والفروض والواجبات ، والمندوبات والمستحبات ، اللهم إلا بيان المحظورات ليكون الحاج والمعتمر منها على بينة ، فيجعل بينه وبينها حاجزاً ، حتى لا يقع في محظور فيذهب حجه ، أو يقل ثوابه .

---

(١) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (٢٢٤) . رواه البخاري في الأذان رقم (١٢٢٠) ، ومسلم في الصلاة رقم (٣٩٧) .

محظورات الإحرام :

اعلم **أخي الحبيب** أن للإحرام محظورات ، يمنع على الحاج الوقوع فيها وهي على نوعين :

النوع الأول : ما يفسد الحج : **وهو الجماع** قبل التحلل الأول(١).

ويترتب على هذا الجماع :

١ – الإثم .

٢ – فساد الحج .

٣ – وجوب الاستمرار فيه .

٤ – وجوب القضاء في العام القادم .

٥ – وجوب فدية وهي بدنة – ناقة أو جمل – تذبح في مكة ، أو في المكان الذي جامع فيه .

النوع الثاني : مالا يفسد الحج وهو :

١ – التمتع بالمرأة دون الفرج فإن فعل فعليه دم .

٢ – عقد النكاح أو الخطبة ، ولا شيء عليه ولكن يبطل عقد النكاح .

٣ – المخاصمة مع الرفقاء والأصحاب . يأثم ولا شيء عليه .

٤ – اكتساب السيئات ولا كفارة في ذلك .

٥ – إزالة الشعر من الرأس أو الجسم .

---

(١) التحلل الأول يحصل بأمرين من هذه الثلاثة :
١-رمي جمرة العقبة ٢-الحلق أو التقصير ٣-طواف الإفاضة .

٦ – إزالة الأظفار من اليدين أو الرجلين .

٧ – لبس القفازين .

٨ – الطيب .

٩ – يحظر على الرجل : – تغطية الرأس بملاصق .

– لبس المخيط .

١٠ – يحظر على المرأة : تغطية الوجه.

والفدية في الأمور السابقة على التخيير يفعل أيها استطاع :

– صيام ثلاثة أيام .

– إطعام ستة مساكين .

– ذبح شاة .

١١ – التعرض لصيد البر ، أو الإشارة إليه ، أو الدلالة عليه ، أو إفساد بيضه ، أو بيعه ، أو شراؤه ، أو حلب لبنه ، أو ذبحه .

١٢ – قتل صيد البر ؛ فإن فعل فعليه جزاؤه ، أو ذبح مثل ما قتل .

من أين يحرم من أراد الحج أو العمرة ؟

للحرم المكي حدود لا يجوز للمحرم أن يتجاوزها بدون إحرام وهي كالتالي :

(١) ذو الحليفة وهو لأهل المدينة .

(٢) الجحفة وهو قرية قريبة من رابغ وهو لأهل مصر والشام والمغرب.

(٣) قرن المنازل وهو المعروف بوادي السيل وهو لأهل نجد .

(٤) يلملم وهو ميقات أهل اليمن والهند .

(٥) ذات عرق وهو لأهل العراق وسائر أهل المشرق .

أنواع النسك :

من أراد الحج فهو أمام أنساك ثلاثة يختار منها ما يشاء وهي :

١ - الإفراد : وهو أن يحرم الحاج من الميقات بالحج وحده قائلاً في التلبية : « لبيك بحج »، ويبقى على إحرامه من دخوله مكة حتى انتهاء أعمال الحج ، ثم يعتمر إن شاء .

٢ - القران : وهو أن يحرم من الميقات بالحج والعمرة معاً قائلاً : « لبيك بحج وعمرة » ، أو يحرم بالعمرة ويدخل عليها الحج قبل الطواف ، ويبقى على إحرامه إلى أن ينهي أعمال الحج والعمرة ، وهذا عليه دم .

٣ - التمتع : وهو أن يحرم بالعمرة وحدها ويقول عند التلبية : « لبيك بعمرة متمتعاً بها إلى الحج » ، ويبقى على إحرامه إلى أن ينهي عمرته ثم يتحلل فيخلع ملابس الإحرام ، ويلبس ملابسه المعتادة ، ويبقى كذلك إلى يوم التروية « الثامن من ذي الحجة » فيحرم بالحج من مكانه وهذا أيضا عليه دم.

كيف تعتمر ؟

إذا أردت أن تحرم بالعمرة فاتبع الخطوات التالية :

- قم بإزالة شعر الإبط والعانة .
- قبل نية العمرة : اغتسل وتطيب في رأسك ولحيتك وجسدك .
- تجرد من كل ثوب مخيط أو محيط .
- البس الإزار والرداء ، وإذا كانا أبيضين فافضل .

– المرأة إحرامها في ثيابها ، و تلبس ما تشاء ، وليس هناك لون معين لا الأخضر ولا الأبيض ، وتلبس ثيابها الداخلية كما تشاء .

– إن كنت مسافراً جواً فاسأل عن الميقات – **وهو قبل وصولك مطار جدة بنحو خمس دقائق فقط** – وقبل تجاوزه انو عمرتك قائلاً : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . اللهم عمرة وارفع بها صوتك ، والمرأة تخفض صوتها .

– إن كنت مسافراً براً فإن حضر وقت صلاة فانو عمرتك بعده ، و إلا فَصَلِّ ركعتين بنية سنة الوضوء أو تحية المسجد ، ثم انو بعدها قائلاً : لبيك اللهم بعمرة .

– إذا خفت من عائق يمنعك من تمام عمرتك فاشترط وقل : فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني .

– داوم على التلبية ولا تقطعها حتى تستلم الحجر الأسود ، حتى لو تعب صوتك ، فإن الحج هو : العج[1] والثج[2].

– إذا دخلت مكة فقل : « اللهم إن البلد بلدك، والبيت بيتك، جئت أطلب رحمتك وأؤم طاعتك، متبعاً لأمرك، راضياً بقدرك ، مبلغاً أمرك ، أسألك مسألة المضطر إليك ، والمشفق من عذابك ؛ أن تتقبلني وتتجاوز عني برحمتك ، وأن تدخلني جنتك » .

– اذهب إلى سكنك وقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، وضع أمتعتك ، وإن احتجت إلى وضوء فتوضأ . وإن احتجت إلى اغتسال فاغتسل ، وإن احتجت إلى تغيير ثيابك فغيرها – بشرط ألا يكون عليها طيب .

---

(١) العج : رفع الصوت بالتلبية . (٢) الثج : ذبح الهدي .

– إذا دخلت الحرم فقل دعاء دخول المسجد : «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ اللهم افتح لي أبواب رحمتك» وانو الاعتكاف ما بقيت في المسجد .

– إذا رأيت الكعبة فارفع يديك وقل : « اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً ، وزد كل من شرفه وعظمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً» .

– اجعل الكعبة على شمالك ، وابدأ طوافك من الحجر الأسود من عند الخط البني على الأرض ، والمصابيح الخضراء في أعلى ، وقل عند بداية طوافك : «بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك » .

– طف سبعة أشواط ، وقل في كل شوط بين الركن اليماني[1] والحجر الاسود : ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ .

– في الثلاثة أشواط الأولى يرمل الرجل إن كان في الطواف متسع وإلا فلا رمل .

– يضطبع الرجل في طواف العمرة .

– إذا انتهيت من طوافك صل ركعتين في أي مكان ، واقرأ فيهما بالكافرون والإخلاص ، أو ما تيسر لك . **ولا تصر على أن يكونا خلف مقام إبراهيم** ؛ حتى لا تؤذي المسلمين .

---

(١) هو الركن الذي يسبق الحجر الأسود .

– اشرب من زمزم وادع الله بما تشاء فزمزم لما شرب له ، وتوضأ إن شئت وصب الماء على ما تشاء من جسدك ، ويجوز أن تشرب من أي مكان إن خفت الزحام .

– اصعد إلى الصفا واستقبل الكعبة ثم اتل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ١٥٨] ولا يشترط أن تصعد لأعلاه .

ثم قل : الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده يكرر ذلك ثلاثاً ، ويدعو بين ذلك ويرفع يديه متوجهاً إلى البيت .

– اسع بين الصفا والمروة سبعاً ، وقل على المروة ما قلت على الصفا ، وادع بما تشاء .

– إذا مررت بالإشارتين الخضراوين فأسرع الخطوات بينهما من الصفا إلى المروة ومن المروة إلى الصفا .

– ادع الله في سعيك بما تشاء ، فليس هناك دعاء مخصوص .

– سعيك من الصفا إلى المروة شوط ، ومن المروة إلى الصفا شوط، فإذا انتهيت من السبعة أشواط ، فاحلق رأسك أو قصر شعرك ، وبذلك تنتهي عمرتك .

* * *

● **كيف تحـج ؟**

أخي الحبـيب : للحج أيام معلومة وفي كل يوم من أيامه لك أعمالك وهذه أيام الحج أسوقها إليك باختصار :

اليوم الأول : يوم التروية[١] ٨ من ذي الحجة .

اليوم الثاني : يوم عرفة[٢] ٩ من ذي الحجة .

اليوم الثالث : يوم النحر[٣] ١٠ من ذي الحجة .

اليوم الرابع : يوم القر[٤] ١١ من ذي الحجة .

اليوم الخامس : يوم النفر الأول[٥] ١٢ من ذي الحجة .

اليوم السادس : يوم النفر الثاني[٦] ١٣ من ذي الحجة .

أعمال اليوم الأول : يوم التروية ٨ ذي الحجة :

في هذا اليوم الحاج يكون واحداً من ثلاثة :

١ – مفرداً　　٢ – قارناً　　٣ – متمتعاً

أما المفرد : فإنه يبقى على إحرامه من يوم دخوله مكة ، وهذا ليس عليه إلا التوجه إلى منى .

---

(١) سمي كذلك لأنهم كانوا يروون فيه إبلهم من الماء ، ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده .

(٢) سمي كذلك للوقوف فيه بعرفة .

(٣) سمي كذلك لنحر الهدي ، ويسمى يوم الأضحى لذبح الأضاحي ، ويسمى يوم الحج الأكبر لكثرة أعمال الحج فيه .

(٤) سمي كذلك لأنهم يقرون فيه ، ويسمى يوم الرؤوس لأنهم كانوا يأكلون فيه رؤوس الأضاحي وهو أول أيام التشريق .

(٥) سمي كذلك لجواز الخروج فيه إلى مكة لمن أراد التعجل ، وهو ثاني أيام التشريق .

(٦) سمي كذلك لخروج الناس فيه من منى لمن أراد التأخير ، وهو ثالث أيام التشريق .

وأما القارن : فهو كالمفرد كذلك .

وأما المتمتع : فإنه قد حل من عمرته ؛ وعليه أن يحرم من جديد للحج ؛ فيفعل كما فعل في عمرته من إزالة شعر العانة والإبط ، ويغتسل ويطيب شعره وجسده ، ثم يلبس إزاره ورداءه بعد أن يتجرد من كل مخيط ومحيط ، ثم يحرم من مكان نزوله للحج قائلاً : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . لبيك اللهم بحج » يفعل ذلك بعد صلاة ركعتين بنية سنة الوضوء .

– إذا خاف الحاج من عائق يمنعه من تمام حجه اشترط وقال : فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني .

– يستحب التوجه إلى منى قبل الزوال . وليس شرطاً فإن ضاقت منى أو صعبت المواصلات أو منعه مانع فلا بأس ، ويمكنك أن تكون في عرفة مباشرة بعدها .

– يصلي الحاج بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء قصراً للصلاة الرباعية بغير جمع .

– يكثر الحاج من التلبية والذكر لله عز وجل ؛ كقراءة القرآن والتسبيح والتكبير والتحميد ونحوه .

– بعد صلاة الحاج لفجر يوم التاسع يذكر الله حتى طلوع الشمس ، فإذا طلعت الشمس انطلق الحاج إلى عرفة .

أعمال اليوم الثاني : يوم عرفة ٩ ذي الحجة :

– إذا طلعت شمس يوم عرفة ينطلق الحاج إلى عرفة ؛ فإذا حضر وقت الظهر صلى الظهر والعصر ركعتين ركعتين جمعاً وقصراً .

– اليوم هو يوم عرفة ؛ وهو يوم الدعاء ؛ فاحرص على ذكر الله ودعائه ؛ مع التضرع والتذلل ، والخشوع والخضوع والانكسار .

– احرص على التوجه إلى القبلة .

– أفضل دعاء يوم عرفه : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحي ويميت وهو على كل شيء قدير » .

– استمر في الدعاء حتى غروب الشمس ؛ فإذا غربت الشمس انطلق إلى مزدلفة بسكينة ووقار ، ولا تقطع التلبية ، ولا تغفل عن ذكر الله .

– انزل من مزدلفة حسب ما تيسر لك .

– إذا وصلت إلى مزدلفة ؛ قم فور وصولك بصلاة المغرب والعشاء جمع تأخير وقصر .

– من السنة أن يبيت الحاج بمزدلفة ، ويجوز لكبار السن والنساء ومن يخدمونهم والضعفة والصبيان ممن يشق عليهم مزاحمة الحجيج أن ينزلوا من مزدلفة بعد منتصف الليل .

– اجمع حصى جمرة العقبة الكبرى من مزدلفة ، أو من منى .

– إذا تبين وقت الفجر فقم بصلاة الفجر بمزدلفة ، ثم قف عند المشعر الحرام واستقبل القبلة وأكثر من الدعاء حتى يسفر النهار .

– إذا ابيض النهار توجه إلى منى لرمي جمرة العقبة الكبرى .

أعمال اليوم الثالث : يوم النحر ١٠ ذي الحجة .

– إذا أسفر الجو وظهر ضوءه انطلق من مزدلفة إلى منى لرمي جمرة العقبة الكبرى .

– إن لم تكن قد التقطت الحصى فالتقطه من الطريق إلى منى .

- إن مررت بوادي محسر فأسرع فيه الخطى .

- إذا وصلت إلى منى توجه إلى جمرة العقبة ، واقطع التلبية وابدأ في رمي الحصى .

- عدد الحصى سبع حصيات ، ارم ومع كل حصاة كبر قائلاً : « الله أكبر » . ترميها حصاة حصاة ولا ترميها جملة ، وإن فعلت كانت حصاة واحدة .

- يستحب أن تجعل منى على يمينك ومكة عن يسارك .

- إذا فرغت من رمي جمرة العقبة اذبح هديك ، هذا إن كنت متمتعاً أو قارناً ، أما المفرد فلا ذبح عليه .

- قم بحلق رأسك أو بالتقصير ، والحلق أولى وأفضل .

- توجه إلى مكة وطف بالبيت سبعاً وهو طواف الإفاضة ، وافعل بالطواف كما فعلت بطواف العمرة إن كنت متمتعاً أو طواف القدوم إن كنت قارناً أو مفرداً .

- إن كنت متمتعاً فعليك أن تسعى بين الصفا والمروة لأن سعيك الأول كان للعمرة.

- إن كنت مفرداً أو قارناً وسعيت عند قدومك بعد طواف القدوم ، فلا سعي عليك ، وإن لم تسع عند قدومك فعليك سعي بعد الطواف .

- الأفضل أن تأتي أعمال الحج بهذا الترتيب :

* رمي جمرة العقبة . * النحر .
* الحلق أو التقصير . * الطواف والسعي .

وإن قدمت أو أخرت فلا شيء عليك وحجك صحيح إن شاء الله .

– إذا أتيت اثنتين من هذه الثلاثة : (١ – رمي جمرة العقبة . ٢ – الحلق أو التقصير . ٣ – الطواف) تحللت التحلل الأول ، فإن رميت وحلقت ، أو رميت وطفت ، أو حلقت وطفت فقد تحللت ؛ وبذلك يحل لك كل شيء إلا النساء .

أعمال اليوم الرابع : يوم القر ١١ ذي الحجة :

– ارجع إلى منى لتمكث بها وتبيت أيام التشريق .

– ترمي الجمار الثلاثة كل جمرة بسبع حصيات مع كل حصاة تكبر : الله أكبر.

– يبدأ الرمي بعد الزوال ويستمر حتى الغروب وهذا هو الأفضل، فإن تأخر الرمي بعد الغروب أوفي الليل جاز الرمي .

– ابدأ بالجمرة الصغرى وهي الأقرب لمسجد الخيف ، ثم الجمرة الوسطى ، ثم الجمرة الكبرى .

– قف بعد الجمرة الصغرى واستقبل القبلة وادع ربك طويلاً .

– من عجز عن الرمي وكل غيره ولا شيء عليه .

أعمال اليوم الخامس : يوم النفر الأول ١٢ ذي الحجة :

هذا اليوم أعماله كاليوم السابق .

– ترمي الجمار الثلاثة بنفس الكيفية التي رميت بها في الأمس.

– إن أردت التعجل بمعنى أن تكتفي بيومي (١١، ١٢) في منى ؛ فعليك الخروج من منى قبل غروب الشمس ، والبقاء في منى أفضل لموافقة هدي النبي ﷺ ؛ وفي كل خير .

فإن خرجت وأردت السفر ؛ اجعل آخر أعمالك طواف الوداع ، ولا تفرق بينه وبين السفر بعمل طويل .

أعمال اليوم السادس : يوم النفر الثاني ١٣ ذي الحجة :

هذا اليوم أعماله كاليوم السابق .

– ترمي الجمار الثلاثة بنفس الكيفية التي رميت بها في اليومين السابقين .

– ثم تخرج من منى إلى مكة ؛ وقد أصبت السنة وتأخرت في منى ولم يبق عليك إلا طواف الوداع .

– طف طواف الوداع وسل الله القبول .

وهكذا ينتهي حجك **أخي الحبيب** .

زيارة المسجد النبوي .

زيارة المسجد النبوي قربة من القرب بل هي من أعظم القرب ، وكيف لا والمدينة مهجر النبي ﷺ ، ومهبط الوحي ، وبها أحد المساجد التي تشرع إليها شد الرحال ؛ وفي الحديث قال ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى »[١] .

والصلاة فيه بألف فيما سواه إلا المسجد الحرام ؛ قال ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام »[٢] .

وزيارة المسجد النبوي مشروعة في كل وقت ، وليس لها وقت

---

(١) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان(٨٨٢) . رواه البخاري في فضل الصلاة في مكة والمدينة (١١٨٨) ، ومسلم في الحج (١٣٩٧) عن أبي هريرة .

(٢) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان(٨٨١) . رواه البخاري في فضل الصلاة في مكة والمدينة (١١٩٠) ، ومسلم في الحج (١٣٩٥) عن أبي هريرة .

مخصوص ، وليس لها أدنى تعلق بمناسك الحج كما يتوهم البعض ، غير أنه يستحب لمن قدم من سفر بعيد ؛ ويتعذر عليه الوصول إلى بلاد الحرم إلا بمشقة أن يزور المسجد النبوي ؛ ليحظى بفضيلة الصلاة في المسجد النبوي .

فإذا وصل المسلم إلى المسجد دخل المسجد قائلاً : « أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ اللهم افتح لي أبواب رحمتك » ، ثم يصلي ركعتي تحية المسجد ، أو ليصل الفريضة إن كان وقت فريضة .

إذا فرغ العبد من صلاته هذا فله أن يصلي في الروضة الشريفة ركعتين إن شاء دون أن يؤذي أحدا ، ثم لينطلق إلى قبر حبيبه المصطفى ﷺ فيقف أمام قبره مسلماً عليه قائلاً : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله عليك وجزاك عن أمتك خيراً ، أو ليقل أي سلام شاء .

ثم يخطو خطوة جهة اليمين فيسلم على الصديق أبي بكر رضي الله عنه ، ثم خطوة أخرى إلي اليمين ليسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه .

ثم يخرج إلى البقيع ؛ ويزور قبور من فيها من المسلمين داعياً الله لهم دون ابتداع .

وإن شاء أن يخرج إلى مسجد قباء ويصلي فليفعل ؛ فقد كان ﷺ يزوره كل أسبوع .

وإن زار أحُداً وزار قبور من فيه من الصحابة ؛ حمزة وإخوانه رضي الله عنهم فبها ونعمت ، ويدعو لهم جميعاً بالمغفرة والرحمة .

الفصل الثالث

مع المصطفى ﷺ في حجه

أولاً : المصطفى ﷺ ذاكراً لربه .
ثانياً : المصطفى ﷺ دعّاء خاشعاً متضرعاً .
ثالثاً : المصطفى ﷺ ناصحاً لأهله .
رابعاً : المصطفى ﷺ معلماً لأمته .
خامساً : المصطفى ﷺ مفتياً لأمته .
سادساً : المصطفى ﷺ غائظاً لعدوه مخالفاً له .
سابعاً : المصطفى ﷺ ليناً في وعظه .
ثامناً : المصطفى ﷺ حكيماً في أمره ونهيه .
تاسعاً : المصطفى ﷺ ميسراً في نسكه .
عاشراً : المصطفى ﷺ متواضعاً لرعيته .
حادي عشر : المصطفى ﷺ محبباً في ربه .
ثاني عشر : المصطفى ﷺ عمله يطابق قوله .
ثالث عشر : المصطفى ﷺ مبلغاً رسالة ربه .
رابع عشر : المصطفى ﷺ ينزل الناس منازلهم .
خامس عشر : المصطفى ﷺ معلناً لحقوق الإنسان .
سادس عشر : المصطفى ﷺ منظماً في هديه .
سابع عشر : المصطفى ﷺ مقتدياً بإخوانه .
ثامن عشر : المصطفى ﷺ يحدد المرجعية العليا .
تاسع عشر : المصطفى ﷺ ناصراً للمرأة .
المتمم للعشرين : المصطفى ﷺ يؤصل لفقه الدعوة إلى الله تعالى .

الفصل الثالث

مع المصطفى ﷺ في حجه

لن يستطيع الحاج أن يصل إلى بر حجه ، أو ينال الحج المبرور ؛ ما لم يجعل رسول الله ﷺ هادياً يهديه ، وقدوة يقتدي بها ، وأسوة يترسم خطواته . ولقد أحسن الفضيل رحمه الله لما قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً ، والخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنة .

وقد أردت أن أطوف بك أخي الحاج مع النبي ﷺ في حجته ، وأسعى بك مع النبي ﷺ في نسكه ، وقد أرمل بك أحياناً في أداء شعيرته ، وأهرول تارة أخرى عند نحره ، وأدفع بك عند حلقه ، لنرى أخلاق النبي ﷺ وهديه وسلوكه في تلك الحجة المباركة .

لنغترف من هديه عسى الله أن يمن علينا بموافقة هدي حبيبه ﷺ فيتقبل منا .

١ - المصطفى ﷺ ذاكراً لربه :

لم يكن النبي ﷺ غافلاً عن ذكر الله لحظة من اللحظات أبداً ؛ بل هو في ذكر متواصل ؛ في سفره وحضره ، في حله وترحاله ، في غدوه ورواحه ، في صحته ومرضه ، حتى في غفوته ونومه . وقد جاء في الحديث « تنام عينه و لا ينام قلبه »(١) .

---

(١) رواه البخاري في الوضوء(١٣٨) ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٣) عن ابن عباس.

وحج النبي ﷺ لا يعدو أن يكون من بدايته إلى منتهاه ذكراً متواصلاً لله عز وجل؛ ورُوي عن الحبيب ﷺ : « إنما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة ، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله »(١).

وقال ﷺ : « أيام التشريق أيام أكل وشرب **وذكر لله** »(٢).

وعبادة النبي ﷺ ما كانت إلا لذكر الله تعالى ؛ وفي الحديث : « إنما فرضت الصلاة ، وأمر بالحج و الطواف ، وأشعرت المناسك **لإقامة ذكر الله** »(٣).

وقد كان النبي ﷺ في ذكره لربه ممتثلاً لأوامر ربه في قوله : ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ** ﴾ [الحج : ٢٨]

وقوله : ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً** ﴾ [البقرة : ٢٠٠].

وقوله : ﴿ **وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ [البقرة : ٢٠٣]

وأنت أخي الحبيب : الا يكون لك في حبيبك قدوة فتكثر من الذكر ؟

نعم أكثر في غدوك ورواحك ، في قيامك وقعودك ، أكثر من

---

(١) رواه أحمد (٢٤٣٥١) عن عائشة، وقال محققوه : إسناده ضعيف ، وقد روي مرفوعا وموقوفا . رواه الترمذي وأبو داود . وذكره الألباني في ضعيف أبي داود ٢٠٥٦ .

(٢) رواه مسلم في الصيام (١١٤١) عن نبيشة الهذلي.

(٣) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عائشة نحوه دون ذكر "الصلاة" ، قال الترمذي: حسن صحيح.

ذكر الله ؛ فإن رجع الناس بما رجعوا ، رجعت أنت بذكر مولاك ، وتذكر قوله سبحانه : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢]، وقوله في الحديث القدسي : « فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي »(١).

ولله در القائل :

قلوب الناس في عرفات ... تناجي الرب بالنبضات
وبالأشواق تسلبها ... وتمزجها مع العبرات
تلبيه وتسأله ... بألوان من اللهجات
فيسمع صوتها حتى ... قبيل النطق بالدعوات

٢ - المصطفى ﷺ دعّاءً خاشعاً متضرعاً :

لم يكن النبي ﷺ مجرد ذاكر لله فحسب لكنه كان في ذكره لربه داعٍ بل دعّاء ، وهو في دعائه خاشع ، ومع خشوعه متضرع ، ورُوي عنه ﷺ : « الصلاة مثنى مثنى أن تشهد في كل ركعتين وأن تباءس وتمسكن وتقنع بيديك وتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل ذلك فهي خداج »(٢)،(٣).

---

(١) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١٧١٣) .البخاري في التوحيد رقم (٧٤٠٥) ، ومسلم في الدعاء رقم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة .

(٢) خداج : ناقصة .

(٣) أحمد في المسند (١٧٩٩) عن الفضل بن عباس وقال محققوه : إسناده ضعيف ، ورواه الترمذي (٣٨٥) والنسائي في الكبرى(٦١٥) ، وذكره الألباني في ضعيف ابن ماجه رقم (٢٧٧) .

وقد ظهر خشوع النبي ﷺ وتضرعه ومسكنته لربه في حجه جلياً، وقد وصف جابر رضي الله عنه إفاضة النبي ﷺ فقال : « أفاض رسول الله ﷺ وعليه السكينة »(١)؛ ولما سئل ﷺ عن الحاج قال : « الشعث التفل »(٢)،(٣).

ولما دفع النبي ﷺ من عرفة سمع أصواتاً وجلبة للناس وللإبل ، أشار النبي ﷺ إلى الناس بسوطه ثم قال : « أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع »(٤)،(٥).

وعند طوافه ﷺ لم يكن سريع الخطى رافع الصوت ، إنما كما يقول جابر : « بدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء »(٦).

ولهذا فقد كان ﷺ يرغب أصحابه في التضرع والدعاء عشية عرفة فقد جاء في الحديث أنه ﷺ كان يقول لهم : « ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ »(٧) .

---

(١) رواه أبو داود في الحج (١٩٤٤) عن جابر . وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٦٨٩) .

(٢) الشَّعَث : أن يَغْبَرَّ الشعرُ ويَنْتَتِفَ لبُعد عَهْده بالتعهد من المَشْط والدهن . التَّفَل : ترك الطِّيب . رجل تَفِلُ أي غيرَ مُتَطَيِّب بَيِّنَ التَّفَل ، فيوجد منه رائحة كريهة .

(٣) رواه ابن ماجه في الحج (٢٨٩٦) عن ابن عمر ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣ / ٤٣٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٥ / ٥٨) . وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣١٦٧) .

(٤) الإيضاع : السير السريع . (٥) سبق تخريجه .

(٦) رواه الحاكم (١ / ٦٢٥) عن ابن عباس، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٥ / ٧٤) . وذكره الألباني في ضعيف الترغيب رقم (٧٣١) .

(٧) رواه مسلم في الحج رقم (١٣٤٨) عن عائشة .

وعن ابن عباس قال : كان فيما دعا به رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « اللهم إنك تسمع كلامي، وتعلم مكاني، وتعلم سري وعلانيتي ، لا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيا ، وكن بي رؤفا رحيما ، يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين »(١).

ولأجل الدعاء فقد كان من سنته ﷺ أن يجمع الظهر مع العصر تقديماً وقصراً بعرفة ؛ ليتفرغ ﷺ لدعاء ربه ومولاه ، وهذا أسامة بن زيد يروي لنا حال النبي ﷺ يوم عرفة فيقول : « كنت ردف النبي ﷺ بعرفات فرفع يديه يدعو ؛ فمالت به ناقته فسقط خطامه ، فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى »(٢) .

هذا وقد عهد للنبي ﷺ وقفات يقف فيها داعياً ربه ظاهراً خشوعه وتضرعه وذله وافتقاره ، ومسكنته وحاجته ومن هذه الوقفات :

---

(١) والطبراني في الصغير (٢/ ١٥) وفي الكبير عن ابن عباس . وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الكبير والصغير وزاد الوجل المشفق وفيه يحيى بن صالح الابلي، قال : إنه روى عنه يحيى بن بكير مناكير وبقية رجاله رجال الصحيح (٣/ ٢٥٢) ، وذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم (١١٨٦) .

(٢) رواه أحمد (٢١٨٢١) عن أسامة بن زيد، وقال محققوه: حديث صحيح ، ورواه النسائي (٥/ ٢٥٤) وابن خزيمة (٢٨٢٤) . وذكره الألباني في صحيح النسائي رقم (٢٨١٧) .

الوقفة الأولى : عند الصفا : وكان من دعائه ﷺ عندها : يتلو قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٥٨].

ثم يقول الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، يكرر ذلك ثلاثاً ، ويدعو بين ذلك ويرفع يديه متوجهاً إلى البيت(١).

الوقفة الثانية : عند المروة : ويدعو بما دعا به عند الصفا .

الوقفة الثالثة : يوم عرفة : فقد وقف النبي ﷺ على ناقته من زوال الشمس حتى غروبها .

الوقفة الرابعة : عند المشعر الحرام : وقد أطال النبي ﷺ وقوفه وتضرعه من صلاة الفجر حتى أسفر جداً قبل طلوع الشمس .

الوقفة الخامسة : بعد الجمرة الأولى في أيام التشريق : وكان وقوفه ﷺ بمقدار سورة البقرة .

الوقفة السادسة : بعد الجمرة الثانية في أيام التشريق : وكان وقوفه ﷺ بمقدار سورة البقرة .

فاحرص **أخي الحبيب** على الاقتداء بحبيبك وأكثر من التضرع ، وأظهر التمسكن والمسكنة، تصل إلى مرادك بإذن الله .

---

(١) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر.

٣ - المصطفى ﷺ ناصحاً لأهله :

لم ير التاريخ كله رجلاً ناصحاً لأهله كمحمد بن عبدالله ﷺ؛ ولم لا ؟ وهو القائل ﷺ : « خيركم خيركم لأهله »(١) . ومما نزل عليه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم : ٦] وهو القائل : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »(٢) .

ولعل مكة لم تشهد على مر التاريخ حاجاً خرج بأهله كرسول الله ﷺ ؛ ذلك أنه خرج في حجة الوداع بكل نسائه ، كما خرجت فاطمة و لحق به زوجها علي رضي الله عنه ، ومع كثرة العدد لم يدخر النبي ﷺ نصحاً في أهله، ولم يشغله أهله عن أمته، ولا أمته عن أهله؛ فتراه ينادي عليهم ويقول : « أهلوا يا آل محمد بعمرة في حج »(٣) .

ولما رأى ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب غير متجهزة للحج قال لها : « أما تريدين الحج هذا العام ؟ فقالت : أنا امرأة سقيمة ، وأنا أخاف الحبس ، قال : فأحرمي واشترطي أن محلك حيث حبست »(٤) .

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٩٥) عن عائشة، ورواه الدارمي (٢٢٦٠) ، وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (٣٠٥٧) .

(٢) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١١٩٩) . البخاري في العتق رقم (٨٩٣) ، ومسلم الإمارة رقم (١٨٢٩) عن ابن عمر .

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٦٥٤٨) عن أم سلمة، وقال محققوه: إسناده صحيح، ورواه الطبراني في الكبير (٢٣ / ٧٩٢) والبيهقي في السنن (٤ / ٣٥٥) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٢٦٩٥٣) عن أسماء بنت أبي بكر، وقال محققوه: حديث صحيح لغيره، ورواه ابن ماجه (٢٩٣٦) والطبراني في الكبير (٢٤ / ٢٣٣) . وذكره الألباني في الصحيحة رقم (٢٣٧٥) .

ولما دخل على عائشة ووجدها تبكي بسبب حيضتها قال لها : « فلا يضرك ، أنت من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن ، فكوني في حجك عسى الله أن يرزقكها »[١] .

فانظر **أخي الحبيب** كيف كان رسول الله ﷺ مع أهله ناصحاً لهم ومعلماً إياهم ، وكم من أناس الآن يذهبون بأهلهم فإذا وصلوا مكة انفصلوا عن بعضهم ، حتى ترى النساء يذهبن وحدهن إلى بيت الله ؛ بينما الرجل نائم في مسكنه ، أو منشغل ببيعه وشرائه، أو ترى العكس نساء انشغلن بالبيع والشراء دون أن يجدن نصيحة من والد ، أو تعليماً من زوج ، أو تصحيحاً من أخ ودود .

٤ - المصطفى ﷺ معلماً لأمته :

لم يجتمع لرسول الله ﷺ عدد مثل الذي اجتمع له في حجة الوداع ؛ مائة ألف أو يزيدون ، وقد استغل النبي ﷺ هذا الجمع ليعلمه مبادئ الإسلام ، بل كان ﷺ شديد الحرص على ذلك ، وكلما عنّ له شيء أمر واحداً من أصحابه أن ينصت له الناس، أو يسكت له القوم ، ليسمع الحاضر ، ويتعلم الشاهد ، ويذكر لنا بلال رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : « يا بلال أسكت الناس »[٢] .

ويخبر جرير بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال له : « استنصت لي الناس »[٣] .

---

(١) رواه البخاري في الحج رقم (١٧٨٨) ، ومسلم في الحج (١٢١١) عن عائشة .

(٢) رواه ابن ماجه في الحج(٣٠٢٤) عن بلال . وذكره الألباني في الصحيحة رقم (٢٤٥٠) .

(٣) رواه البخاري في الفتن رقم (٧٠٨٠) عن جرير .

وكان تعليم النبي ﷺ لأمته على أنواع منها :

الأول : إيضاحه ما عنّ لهم من مسائل في الحج : كإيضاحه ﷺ للسائل : أي الحج أفضل ؟ قال ﷺ : « العج[١] والثج[٢] » [٣]، وقوله للمرأة الخثعمية التي قالت يا رسول الله إن أبي شيخ كبير ، عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره . فقال ﷺ : « حجي عنه »[٤].

الثاني : إبراز مقاصد الإسلام العظمى ومعالمه الكبرى : كما في إبرازه لمكانة الصلاة والصيام والزكاة في قوله ﷺ : « أيها الناس اتقوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا ذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم »[٥] وكما في قوله ﷺ : « تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله »[٦].

الثالث : بيان كبائر الذنوب والتحذير منها ، كما في قوله ﷺ : أتدرون أي يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ؛ حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه . فقال ﷺ : أليس بيوم النحر ؟ قلنا : بلى

---

(١) العج : رفع الصوت بالتلبية .

(٢) الثج : ذبح الهدي .

(٣) رواه الترمذي في الحج (٨٢٧) عن أبي بكر . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (٦٦١) .

(٤) رواه مسلم في الحج رقم (١٣٣٥) عن الفضل .

(٥) رواه أحمد في المسند (٢٢١٦١) عن أبي أمامة ، وقال محققوه : إسناده صحيح على شرط مسلم . رواه الترمذي (٦١٦) والحاكم (١ / ٩) . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (٥٠٢) .

(٦) رواه مسلم في الحج رقم (١٣٣٥) عن الفضل .

يا رسول الله . قال : فأي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال ﷺ : فأي بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه . قال ﷺ : أليس بالبلدة ؟ قلنا: بلى يا رسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ؛ كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، فليبلغ الشاهد الغائب(١).

ولقد كان مقصد النبي ﷺ من وراء هذا التعليم وذاك البلاغ كما يقول الشيخ الغزالي : أن يفرغ في آذان الناس وقلوبهم ما لديه من نصح ، كان يحس أن هذا الركب سينطلق في ميدان الحياة وحده ، فهو يصرخ به كما يصرخ الوالد بابنه الذي انطلق به القطار، يوصيه بالرشد ، ويذكره بما ينفعه أبداً (٢).

لقد نظر النبي ﷺ إلى الألوف المؤلفة ، وهي تلبي وتهرع إلى طاعة الله ، فشرح صدره انقيادها للحق ، واهتداؤها إلى الإسلام ، وعزم أن يغرس في قلوبهم لباب الدين ، وأن ينتهز هذا التجمع الكريم ليقول كلمات تبدد آخر ما أبقت الجاهلية من مخلفات في النفوس ، وتؤكد ما يحرص الإسلام على إشاعته من آداب وعقائد وأحكام(٣).

ولقد استخدم النبي ﷺ من الوسائل التعليمية في حجة الوداع ما يلي :

١ - التعليم بالقدوة : ولهذا قال ﷺ : «لتأخذوا عني

---

(١) متفق عليه . البخاري رقم (١٧٤١) ، و مسلم في القسامة والمحاربين رقم (١٦٧٩) عن أبي بكرة .

(٢) انظر : فقه السيرة / محمد الغزالي / ص ٦٨٤ ، ٦٨٥ .

(٣) انظر : السابق / ص ٦٨١ .

مناسككم »[١]؛ ومن ثم فلم يكتف النبي ﷺ بمجرد القول ؛ بل وقف ليعلم الناس عملياً .

٢- حرص النبي ﷺ على تبليغ الشاهد الغائب : وهو يريد من ذلك أن تعم الفائدة ، ولأن الغائب قد يكون أفهم للعلم وأكثر حرصاً عليه من الحاضر الذي سمع . فعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ : « وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به . كتاب الله . وأنتم تسألون عني . فما أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد ! اللهم اشهد ! ثلاث مرات[٢].

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: « يا أيها الناس أي يوم هذا ؟ قالوا: يوم حرام، قال: فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام ، قال: فأي شهر هذا ؟ قالوا: شهر حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا. فأعادها مراراً ، ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت »[٣].

وفي رواية يقول ﷺ : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى . أبلغت ؟ قالوا : بلغ رسول الله ﷺ » .

(١) سبق تخريجه . (٢) سبق تخريجه . (٣) سبق تخريجه .

٣- تكرار الخطب : ولهذا فقد أثر عنه ﷺ أربع خطب يسن إلقاؤها في موسم الحج ، وهذه الخطب هي :

الخطبة الأولى : يوم السابع من ذي الحجة عند الكعبة بعد صلاة الظهر .

الخطبة الثانية : يوم التاسع من ذي الحجة « يوم عرفة » قبل صلاة الظهر والعصر .

الخطبة الثالثة : يوم العاشر من ذي الحجة وهو « يوم النحر» .

الخطبة الرابعة : يوم الثاني عشر من ذي الحجة وهو « يوم النفر الأول» .

٤ - جذب النبي ﷺ انتباه الحجيج لما يقوله : وذلك بسؤالهم عن اليوم الذي هم فيه وكذلك عن الشهر والبلد كما في قوله ﷺ : أتدرون أي يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم؛ حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه . فقال ﷺ : أليس بيوم النحر؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : فأي شهر هذا؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال ﷺ : فأي بلد هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه . قال ﷺ : أليس بالبلدة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ؛ كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، فليبلغ الشاهد الغائب[1] .

(١) سبق تخريجه .

٥ - إسكات الناس له ﷺ كما قال لبلال رضي الله عنه : « أسكت الناس »[١] وفي هذا حرص على وصول العلم والدين إلى الناس .

٦- عدم الاقتصار على نفسه ﷺ في تبليغ الناس : بل كان يأمر من أصحابه من يردد كلامه كما أمر علياً رضي الله عنه ليردد كلامه إلى الناس في منى ، و أمر ربيعة بن أمية في عرفة ، و أمر بشر بن سحيم أيام التشريق حين أمره الرسول ﷺ أن ينادي في الناس : « لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة »[٢]، بل وأرسل الرسل إلى الحجيج في أماكنهم ليعلموا الناس شرائعهم .

٧ - حرصه ﷺ على أن يردف خلفه أحداً من أصحابه : لينقلوا للناس فعل النبي ﷺ فقد أردف خلفه أسامة بن زيد ، وتارة الفضل بن العباس ، ويلاحظ صغر سن أسامة والفضل ؛ لينقلوا ما سمعوه في حياة النبي ﷺ وبعد مماته ولهذا قال الناس عن الفضل لما أردفه النبي ﷺ : يخبرنا صاحبنا بما صنع رسول الله ﷺ .

فاحرص **أخي الحبيب** أن تكون معلماً أو متعلماً ، ولا تكن الثالثة فتهلك ، علّم ما تعلمت وتعلّم ما جهلت ، ولئن تكون متعلماً خير لك من أن تكون جاهلاً .

٥ - المصطفى ﷺ مفتياً لأمته :

الإفتاء من أهم وظائف النبي ﷺ وقد كانت حياة النبي ﷺ

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه أحمد (٥٩٤) عن علي، وقال محققوه: حديث صحيح، رجاله ثقات، ورواه الترمذي (٨٧١) والدارمي (١٩١٩) والبزار (٧٨٥) النسائي والحاكم (٤ / ١٧٨) ، وذكره الألباني في صحيح النسائي رقم (٢٧٦٩) .

مليئة بالإجابة عما يستفتيه فيه الناس ، وكان ﷺ يفتي الناس بما علمه ربه ، وإلا أمسك النبي ﷺ حتى يأتيه الوحي من السماء كما في قوله لجبريل « ما المسئول عنها بأعلم من السائل »[(١)]، وكما في قوله ﷺ : « لا أدري حتى أسأل جبريل »، و كما في حديث ابن عمر : أن رجلا سأل النبي ﷺ أي البقاع شر ؟ قال : لا أدري حتى أسأل جبريل . فسأل جبريل فقال : لا أدري حتى أسأل ميكائيل . فجاء فقال : خير البقاع المساجد ، وشرها الأسواق[(٢)].

وقد جمع الإمام ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين عدداً كبيراً من فتاوى النبي ﷺ بلغت ١٦٠ صفحة من ٣٣٠ إلى ٤٩٩ من المجلد الرابع ، وقد ضمن ابن القيم - رحمه الله - هذه الفتاوى ما كان من فتاوى النبي ﷺ في الحج .

وعبادة الحج تحتاج أكثر من غيرها إلى من يفتي الناس ويعلمهم؛ ذلك أنها عبادة عملية ، كما أن كثرة أيامها وتعدد نسكها، واشتمالها على أعمال عدة ؛ يجعل السائل يسأل عما يعرض له في هذه النسك .

وفي حجة الوداع كان ﷺ حريصاً كل الحرص على إفتاء الناس؛ ولهذا لم يعتزل النبي ﷺ القوم ، بل كان ﷺ مخالطاً الناس قريباً منهم ؛ ليسأل كل واحد منهم عما يعنّ له من أسئلة ، أو يجدّ له من أمور .

---

(١) رواه مسلم في الإيمان رقم (١٠) عن عمر .
(٢) رواه الحاكم (١ / ١٦٧) عن أنس وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف (٢ / ٦) و رواه ابن حبان (١٥٩٨) . وذكره الألباني في صحيح الموارد رقم (٢٥٨) .

ولهذا قال جابر رضي الله عنه واصفاً اختلاط النبي ﷺ برعيته : « ثم ركب ﷺ القصواء ، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء ، نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك »(١).

وقد وصف قدامة العامري اختلاط النبي ﷺ بالناس يوم النحر ؛ فقال واصفاً النبي ﷺ عند الرمي : « رأيت رسول الله رمى الجمرة يوم النحر على ناقة صهباء ، لا ضرب ولا طرد ، ولا إليك إليك (٢) »(٣).

وقال ابن عباس كما في مسند أحمد : « كان الناس لا يصدفون (٤) عن رسول الله ﷺ ولا يدفعون ، فطاف على بعير ليستمعوا إليه ، وليروا مكانه ».

وفي رواية أخرى يقول ابن عباس : « وقف النبي ﷺ للناس يفتيهم »(٥). وأكد هذا جابر رضي الله عنه حين قال : « طاف رسول الله ﷺ بالبيت في حجة الوداع على راحلته ، يستلم الحجر بمحجنه (٦) ؛ لأن يراه الناس ، وليشرف ، وليسألوه »(٧).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) طرد ، ولا إليك إليك هو كما يقال الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ، ويُفعل بين يَدَى المراء ، ومعناه تَنَحَّ وأبعِد .وتكريره للتأكيد .

(٣) رواه أحمد (١٥٤١١) عن قدامة بن عبد الله ، وقال محققوه: إسناده حسن، ورواه النسائي في المجتبى (٥/ ٢٧٠) وابن ماجه (٣٠٣٥) . وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٢٤٦١) .

(٤) صدف : الصُّدوفُ: المَيْلُ عن الشيء ، و صَدَفَ وَنَكَبَ إذا عَدَلَ ،ويصْدف عنه ، أي : يُعْرِض عنه . ويقال : صدَفَ عنّه ، بمعنى صَدَّ عنه .

(٥) رواه البخاري في الاستئذان رقم (٦٢٢٨) عن ابن عباس.

(٦) المحجن العصا المُعْوَجَّة الرأس .

(٧) رواه مسلم في الحج رقم (١٢٧٣) عن جابر.

نماذج من فتاوى المصطفى ﷺ في الحج

فتاوى في فضل الحج وكونه جهادا في سبيل الله :

سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ورسوله ». قيل ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور »(١).

وسألته عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل . أفلا نجاهد ؟ قال : « لكن أفضل الجهاد حج مبرور »(٢).

وسأله رجل فقال : إني جبان وإني ضعيف قال له عليه الصلاة والسلام : « هلم إلى جهاد لا شوكة فيه . الحج »(٣).

وسألته عائشة رضي الله عنها قالت : هل على النساء جهاد ؟ قال : « نعم عليهن جهاد لا قتال فيه . الحج والعمرة »(٤).

فتاوى في وجوب الحج في العمر مرة واحدة :

قال ﷺ : « يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » فسأله رجل ، أكل عام يا رسول الله ؟! فقال ﷺ : « لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال : « ذروني ما تركتكم »(٥).

وسأله الأقرع بن حابس فقال : أفي كل عام يا رسول الله ؟ قال : « لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لما لم تعملوا بها، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع »(٦).

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه. (٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه أحمد (٢٥٣٢٢) عن عائشة، وقال محققوه: إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين، ورواه ابن خزيمة (٣٠٧٤) والدارقطني (٢ / ٢٨٤) وابن ماجه (٢٩٠١) . وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٢٣٤٥) .

(٥) رواه مسلم في الحج (١٣٧٣) عن أبي هريرة.

(٦) رواه أحمد (٢٣٠٤) عن ابن عباس، وقال محققوه: حديث صحيح ، ورواه البيهقي (٤ / ٣٢٦) والدارمي (١٧٨٨) والنسائي (٥ / ١١١).

فتاوى تتعلق بالمواقيت :

وسأله رجل فقال : من أين نهل يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : « يهل أهل المدينة من ذي الحليفة ، وأهل الشام من الجحفة ، وأهل نجد من قرن ، وأهل اليمن من يلملم »(١) .

فتاوى تتعلق بالإهلال بالحج :

أفتى علياً حين قدم من اليمن ، فسأله : « بم أهللت ؟ » فقال علي : أهللت بإهلال رسول الله ﷺ . فقال له ﷺ : « فإن معي الهدي فلا تحل »(٢) .

وقال لأبي موسى : « بم أهللت ؟ » قال : أهللت بإهلال النبي ﷺ . قال له : « هل سقت من هدي ؟ » قال : لا . فقال له النبي ﷺ : « فطف بالبيت ، وبالصفا والمروة ، ثم حل »(٣) .

فتاوى تتعلق بالمحظورات وما يستثنى منها :

سأله أبو قتادة عن الصيد الذي صادوه وهو حلال فأكل أصحابه منه وهم محرمون . فقال ﷺ : « هل معكم منه شيء ؟ فناوله العضد ، فأكلها وهو محرم »(٤) .

وسأله رجل ما يلبس المحرم من الثياب ؟ فقال رسول الله ﷺ

(١) رواه أحمد (٣٠٦٥) عن ابن عباس، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، ورواه الترمذي ، وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (٦٦٥) .

(٢) رواه مسلم في الحج (١٢٥٠) عن أنس.

(٣) رواه البخاري في الحج رقم(١٧٢٤) ومسلم في الحج (١٢٢١)عن أبي موسى .

(٤) رواه البخاري في الحج رقم(١٨٢١) ، ومسلم في الحج (١١٩٦) عن أبي قتادة .

« لا يلبس القمص ، ولا العمائم ، ولا السراويل ، ولا البرانس[١]، ولا الخفاف ، إلا ألا يجد نعلين فليلبس الخفين ، وليقطعهما أسفل من الكعبين »[٢].

وسأله رجل فقال : يا رسول الله ، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بطيب ؟ فقال له النبي ﷺ : « أما الطيب الذي بك فاغسله . وأما الجبة فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجك »[٣].

وسئل عما يقتل المحرم ؟ قال : « الحية ، والعقرب ، والفويسقة[٤] ، ويرمي الغراب ولا يقتله ، والكلب العقور ، والحدأة »[٥].

فتاوى في الحج عن الغير :

سأله رجل فقال : إن أختي نذرت أن تحج ، وإنها ماتت ؟ فقال ﷺ « لو كان عليها دين أكنت قاضيه ؟ » قال : نعم . قال « فاقض الله ، فهو أحق بالقضاء »[٦] .

---

(١) البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، البُرْنُس قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام ، و تَبَرْنَسَ الرجل : لبس البرنس .

(٢) رواه البخاري في العلم رقم (١٣٤) عن ابن عمر .

(٣) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٣٦) عن يعلى بن أمية .

(٤) الفُوَيْسِقَةُ : الفأرة . و سَمَّى الفأرة فُوَيْسِقَة تصغير فاسِقَة لخروجها من جُحْرِها على الناس وإفسادها .

(٥) رواه أحمد (١٠٩٩٠) عن أبي سعيد ، وقال محققوه : إسناده ضعيف ، ورواه الترمذي (٨٣٨) وأبو داود (١٨٤٨) . وذكره الألباني في صحيح أبي داوود رقم (١٦٢٩) .

(٦) رواه البخاري في الحج (١٨٥٢) عن ابن عباس .

وأتاه رجل فقال : يا رسول الله إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن ؟ قال « حج عن أبيك واعتمر »(١) .

وسألته امرأة قالت : إن أمي ماتت ولم تحج أفأحج عنها ؟ قال : « نعم حجي عنها »(٢) .

وسألته المرأة الخثعمية فقالت : « يا رسول الله إن أبي شيخ كبير. عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره ؟» فقال ﷺ : « حجي عنه »(٣) .

فتاوى في ما يعدل الحجة مع الرسول ﷺ :

وسألته أم معقل فقالت : يا رسول الله ، إن عليّ حجة وإن لأبي معقل بكراً (٤) . فقال أبو معقل : صدقت قد جعلته في سبيل الله . فقال له ﷺ : « أعطها فلتحج عليه فإنه في سبيل الله » فأعطاها البكر فقالت : يا رسول الله ، إني امرأة قد كبرت سني ، وسقمت فهل من عمل يجزي عني من حجتي ؟ فقال : « عمرة في رمضان تجزئ عن حجة »(٥) .

---

(١) رواه أحمد (١٦١٨٤) عن أبي رزين، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات، ورواه أبو داود (١٨١٠) والترمذي (٩٣٠) . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (٧٣٨) .

(٢) رواه مسلم في الحج (١١٤٩) عن بريدة .

(٣) رواه مسلم في الحج رقم (١٣٣٥) عن الفضل .

(٤) البكر من الإبل هو ما يركب أي يمكن ظهره من الركوب ، وأدنى ذلك أن يأتي عليه سنتان .

(٥) رواه أحمد (٢٧١٠٧) عن أم معقل، وقال محققوه: إسناده ضعيف بهذه السياقة، ورواه أبو داود (١٩٨٩) والدارمي (١٨٦٠) . وذكره الألباني في صحيح أبي داود (١٧٥١) .

فتاوى في النذر المتعلق بالحج :

سأله عقبة ، قال : يا رسول الله نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله الحرام حافية ؟ فقال ﷺ : « لتمش ، ولتركب »(١).

وسئل ﷺ عن امرأة نذرت أن تمشي إلى بيت الله ، فقال : « إن الله لغني عن مشيها . مروها فلتركب »(٢).

وسألته عائشة رضي الله عنها عن الحجر ؟ فقال : « هو من البيت »(٣)، وفي رواية قالت : يا رسول الله : إني نذرت أن أصلي في البيت . قال : « صلي في الحجر فإن الحجر من البيت ».

فتاوى في خروج المرأة ومعها المحرم :

وسأله رجل ، فقال : يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال ﷺ : « انطلق فحج مع امرأتك »(٤) .

فتاوى تتعلق بالهدي :

رأى رسول الله رجلا يسوق بدنة ، فقال ﷺ : « اركبها » فقال : إنها بدنة . فقال ﷺ : « اركبها »(٥).

---

(١) رواه البخاري في الحج رقم(١٨٦٦) ، ومسلم في الأيمان (١٦٤٤) عن عقبة.

(٢) رواه الترمذي في الحج (١٥٣٦) عن أنس . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٢٤٢) .

(٣) رواه ابن ماجه في الحج (٢٩٥٥) عن عائشة. وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٣٩٢) .

(٤) رواه مسلم في الحج رقم (١٣٤١) عن ابن عباس .

(٥) رواه البخاري في الأدب رقم(٦١٥٩) ، ومسلم في الحج (١٣٢٢) عن أنس.

سأله أبو قبيصة : إن عطب منها شيء ، فخشيت عليه موتا، فانحرها . ثم اغمس نعلها في دمها[١]، ثم اضرب به صفحتها . ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رفقتك[٢].

فتاوى تتعلق بالعمل في الحج :

سأله رجل ، فقال يا رسول الله : إني أكري[٣] في هذا الوجه وكان الناس يقولون : ليس لك حج . فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٨] فأرسل إليه رسول الله ﷺ وقرأها عليه . وقال : « لك حج »[٤].

فتاوى تتعلق بيوم منى وعرفة :

سأله عروة بن مضرس ، فقال : يا رسول الله جئت من جبل طيء . أذللت مطيتي، وأتعبت نفسي ، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه . هل لي من حج ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من شهد

(١) معنى ذلك : إن كان في طريقه وساق هديه وخاف عليه الهلاك فله ذبحه ، فإذا ذبحه غمس نعله التي قلده إياها في دمه وضرب بها صفحة سنامه وتركه موضعه ليعلم من مر به أنه هدى فيأكله ولا يجوز للمهدى ولا لسائق هذا الهدى وقائده الأكل منه .

(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٢٦) عن أبي قبيصة .

(٣) الكَرِيُّ : بوزن الصَّبي الذي يُكْرِي دابَّته . يقال أكْرَى دابَّته فهو مُكْرٍ وكَرِيّ .

(٤) رواه أبو داود في الحج (١٧٣٣) عن أبي أمامة . وذكره الألباني في صحيح أبي داوود رقم (١٥٢٥) .

صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى ندفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً ، فقد تم حجه ، وقضى تفثه »(١) .

وسأله ناس من أهل نجد وهو بعرفة ، فقالوا : يا رسول الله ، كيف الحج ؟ فأمر منادياً ينادي : « الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج . أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه »(٢) .

وسأله أصحابه ، قالوا : يا رسول الله ألا نبني لك بناء يظللك بمنى ؟ قال : « لا ، منى مناخ من سبق »(٣) .

فتاوى تتعلق بأعمال النحر والتقديم والتأخير فيها :

سأله علي بن أبي طالب عن يوم الحج الأكبر ، فقال : « يوم النحر »(٤) .

وسأله رجل فقال : لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح ؟ فقال : « اذبح ولا حرج » وسأله آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي ؟ فقال النبي ﷺ : « ارم ولا حرج »(٥) .

---

(١) رواه أحمد (١٦٢٠٨) عن عروة بن مضرس، وقال محققوه : حديث صحيح ، رجاله ثقات، ورواه الترمذي (٨٩١) وأبو داود . وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم(١٧١٨) .

(٢) رواه أحمد (١٨٧٧٤) عن عبد الرحمن بن يعمر، وقال محققوه: إسناده صحيح، ورواه الترمذي (٨٨٩) والنسائي (٥/ ٢٥٦) وأبو داود (١٩٤٩) . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم(٧٠٥) .

(٣) رواه أحمد (٢٥٥٤٤) عن عائشة ، وقال محققوه: إسناده ضعيف، ورواه ابن ماجه (٣٠٠٦) و الترمذي (٨٨١)، وذكره الألباني في صحيح الجامع (٦٦٢٠) .

(٤) رواه الترمذي في الحج (٩٥٨) عن علي . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٤٦٥) .

(٥) رواه البخاري في الحج رقم(١٧٣٦) عن ابن عمرو .

وسأله رجل فقال : حلقت قبل أن أذبح ؟ فقال : « اذبح ولا حرج » قال : رميت بعد ما أمسيت؟ فقال النبي ﷺ : « لا حرج »(١).

وسأله رجل ، فقال : يا رسول الله ، سعيت قبل أن أطوف ؟ قال : « لا حرج »(٢).

فتاوى نسائية :

سألته أسماء بنت عميس حين ولدت بذي الحليفة ، ماذا تصنع؟ فقال لها النبي ﷺ : « اغتسلي ، واستثفري بثوب (٣)، ثم أهلي »(٤).

وسألته ضباعة بنت الزبير ، قالت : يا رسول الله ، إني أريد الحج ، وأنا شاكية ؟ فقال ﷺ : « حجي واشترطي : إن محلي حيث حبستني »(٥).

وشكت إليه أم سلمة رضي الله عنها ، فقال لها النبي ﷺ : « طوفي من وراء الناس وأنت راكبة »(٦).

وسألته عائشة لما حاضت ، فقال ﷺ : « افعلي ما يفعل الحاج ، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري »(٧).

---

(١) رواه البخاري في الحج رقم (١٧٢٣) عن ابن عباس.
(٢) رواه أبو داود في الحج (٢٠١٤) عن عبد الله بن عمرو. وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٧٧٥) .
(٣) أي أجعلي موضع خروج الدم عصابة تمنع الدم .
(٤) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر .
(٥) رواه مسلم في الحج رقم (١٢٠٧) عن عائشة.
(٦) رواه البخاري في التفسير رقم(٤٨٥٣) ، ومسلم في الحج رقم (١٢٧٦) عن أم سلمة.
(٧) رواه البخاري في الحيض رقم (٣٠٥) عن عائشة.

وسألته عائشة لما حاضت صفية بنت حيي بعد ما أفاضت. قالت عائشة: فذكرت حيضتها لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أحابستنا هي؟ قالت: فقلت: يا رسول الله! إنها قد كانت أفاضت وطافت بالبيت. ثم حاضت بعد الإفاضة. فقال رسول الله ﷺ: «فلتنفر»(١).

فتاوى تتعلق بفسخ الحج إلى عمرة:

سأله سراقة بن مالك، فقال: يا رسول الله عمرتنا هذه لعامنا أم لأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: «دخلت العمرة في الحجة، لا بل لأبد الأبد»(٢).

وسألته حفصة، قالت له: ما شأن الناس حلوا ولم تحل أنت من عمرتك؟ قال: «إني قلدت هديي، ولبدت رأسي، فلا أحل حتى أنحر هديي»(٣).

٦ - المصطفى ﷺ غائظاً لعدوه مخالفاً له:

كان رسول الله ﷺ في حروبه مع قريش، يحاربهم بكل وسيلة سهلت، وكان من وسائله ﷺ الحرب النفسية، وهو في ذلك يمتثل لقوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٠]. وقد ذكر

(١) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١١) عن عائشة.
(٢) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر.
(٣) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٦٦) ومسلم في الحج رقم (١٢٢٩) عن ابن عمر.

ابن القيم : أن رسول الله ﷺ كان يكيد للمشركين بكل ما يستطيع[1].

وقد كان هذا هو هدي النبي ﷺ دائماً ، ولما كان النبي ﷺ في غزوة الحديبية ساق معه في هديه جمل أبي جهل الذي غنمه في بدر ؛ ليراه المشركون فيزدادوا غيظاً إلى غيظهم .

وفي عمرة القضاء دخل النبي ﷺ مكة في صورة لم تر قريش مثلها قط ؛ حيث دخل ﷺ وأصحابه يلتفون به من كل جانب عالية أصواتهم بالتلبية لله عز وجل ، ولما أشاع المشركون أن حمّى المدينة قد أوهنت أصحاب النبي ﷺ ؛ واصطف المشركون عند دار الندوة ليروا وهن الصحابة ، هنا أشار النبي ﷺ على أصحابه بالرمل فرملوا ومشوا بين الركنين، فقال المشركون : هؤلاء الذين تزعمون أن الحمى وهنتهم[2].

كما أمر النبي ﷺ أصحابه أن يبنوا مسجد الطائف موضع اللات والعزى .

ولما كان نزوله ﷺ بمنى نادى في أصحابه قائلاً : « نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة »[3].

وقد بدت مخالفة النبي ﷺ لأعدائه واضحة في حجه ؛ ومن ذلك :

١ – يتجلى ذلك في منع المشركين والعرايا من الطواف ، حيث

---

(١) زاد المعاد / ج٣ / ص ٣٧١ .
(٢) رواه البخاري في الحج رقم (١٦٠٢) ومسلم في الحج رقم (١٢٦٦) عن ابن عباس .
(٣) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٨٨) عن أسامة بن زيد .

أرسل ﷺ في حجة أبي بكر علياً ليؤذن في الناس : « لا يحج بالبيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . . »(١) .

٢ – كما خالف النبي ﷺ المشركين في وقوفهم بالمزدلفة ، فجعل الوقوف بعرفة لا بالمزدلفة .

٣ –كما جعل الإفاضة من عرفة بعد المغيب لا قبله ، كما كانت تفيض قريش قبل المغيب .

وهنا عليك أخي الحاج أن تغيظ أعداء الله أينما كانوا ،، ففي إحرامك غيظ لهم ، وفي تلبيتك غيظ لهم ، وفي نحرك غيظ لهم ، وفي حلقك غيظ لهم ؛ فاحرص على غيظهم ، واحرص على مخالفة أهل البدع والأهواء . تنل الأجر العظيم .

٧ – المصطفى ﷺ ليناً في وعظه :

الداعية إلى الله سبحانه وتعالى يحرص كل الحرص على أن تسيطر تصرفاته على قلوب الناس ، ووظيفة الداعية ليست مجرد تبليغ الدعوة إلى الناس ، أخذوها أم لا ! بل هو حريص على وصول الدعوة إلى مدعويه ، ومن أعظم طرق وصول الدعوة إلى الناس اللين في الوعظ . وقد قال ﷺ لعائشة : « يا عائشة إن الله يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه »(٢) .

---

(١) رواه البخاري في الصلاة (٣٦٩) عن علي .
(٢) رواه البخاري في الدعوات رقم (٦٣٩٥) ، ومسلم في السلام (٢١٦٥) عن عائشة .

ومن كلامه ﷺ أيضاً « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه »[1].

ولله در الأصمعي حين قال :

ولم أر مثل الرفق في أمره　　أخرج العذراء من خدرها

من يستعن بالرفق في أمره　　قد يخرج الحية من جحرها

وقد عرف لينه ﷺ في حجه ، ولا أدل على ذلك من لينه ﷺ مع أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حين حاضت مداعباً إياها : « ما يبكيك يا هنتاه[2]؟ » ثم قال لها ﷺ مطيباً خاطرها : « فلا يضرك أنت من بنات آدم ، كتب الله عليك ما كتب عليهن »[3].

ولما انتهت رضي الله عنها من حجتها وحزنت أن ترجع بحج دون عمرة كما رجعت صواحبها ، وقالت : أترجع صواحبي بحج وعمرة ، وأرجع أنا بالحج ؟ فأمر النبي ﷺ عبد الرحمن بن أبي بكر فذهب بها إلى التنعيم [4]، وهذا ما جعل جابراً رضي الله عنه يقول معلقاً على إرسال أم المؤمنين إلى التنعيم : وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً إذا هويت الشيء تابعها عليه[5].

فانظر رحمك الله إلى قول جابر في وصف النبي ﷺ « سهلاً » وتأمله جيداً وخذ منه أوفر النصيب .

(١) رواه مسلم في البر والصلة رقم (٢٥٩٤) عن عائشة.
(٢) هنتاه : يا هذه .
(٣) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٦٠) عن عائشة.
(٤) رواه أبو داود في الحج (١٧٨٢) عن عائشة، وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٥٦٦) .
(٥) رواه مسلم رقم في الحج (١٢١٣) عن جابر .

ثم هل رأيت ليناً كهذا ؟ حين سمع رجلاً يلبي عن غيره قائلاً : لبيك عن شبرمة فقال ﷺ : « من شبرمة ؟ قال : أخ لي – أو قريب لي – قال : حججت عن نفسك ؟ قال : لا ، قال : حج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة »(١).

وحين وجد ﷺ رجلاً يربط يد آخر بخيط وهو يطوف بالكعبة ، « فقطع النبي ﷺ الخيط بيده ثم قال : قده بيده »(٢) .

ولما دخل رجلان في مسجد الخيف وكانا قد صليا في رحالهما ، وتنحيا في ناحية من المسجد ولم يصليا مع القوم فنظر إليهما النبي ﷺ ثم قال : « إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم ، فإنها لكما نافلة »(٣) .

أرأيت أخي الحبيب : إنه لين في وعظه ،، ليس كبعض المنفرين ، يحكي أحد الدعاة فيقول : بأنه دخل مسجداً يوماً ليصلي فسمع الإمام يقول النسوة في الخلف ، فنظر القوم فلم يجدوا نسوة ، فكرر وقال : النسوة في الخلف ؛ حالقوا اللحى في الخلف ، فانفض الناس من خلفه وتركوه .

ومن لينه أيضاً ﷺ ما قاله حين رأى إسراع الناس يوم عرفة وسمع ما سمع من الجلبة الشديدة والصوت المرتفع ، ما كان منه إلا أن

(١) رواه أبو داود في الحج (١٨١١) عن ابن عباس . وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم(١٥٩٦) .
(٢) رواه البخاري في الحج رقم (١٦٢٠) عن ابن عباس .
(٣) رواه الترمذي في الصلاة(٢١٩) عن الأسود العامري . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم ١٨١ .

أشار بسوطه إلى الناس وقال : « أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع »(١).

وانظر إليه ﷺ لما جاءه أبو قتادة وأصحابه بعد اصطياده لهم وهم محرمون ولم يكن أبو قتادة قد أحرم بعد فقال النبي ﷺ : « هل معكم منه شيء ؟ فناوله العضد ، فأكلها وهو محرم »(٢) وفي رواية توضح لين النبي ﷺ أنه قال : هل معكم من شيء ؟ قالوا : معنا رجله . فأخذها رسول الله ﷺ فأكلها (٣).

بل قد ينقلب اللين في الوعظ إلى مداعبة وملاطفة ؛ كصنيعه مع أغيلمة بن عبد المطلب يقول ابن عباس : « قدمنا رسول الله ﷺ أغيلمة بني عبد المطلب على جمرات لنا من جمع ، فجعل يلطح(٤) أفخاذنا ويقول : أبني : لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس »(٥).

فانظر رعاك الله إلى قوله « يلطح أفخاذنا » وهو الضرب الخفيف بباطن الكف وما كان مقصوده ﷺ الضرب ؛ ولكنه لفت النظر والانتباه ، وانظر إلى قوله « أبني » وما فيه من رقة ووداعة ، واحرص على أن يكون هذا هديك في الحج ، فعظ في لين كما كان حبيبك المصطفى ﷺ .

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) رواه البخاري في الحج رقم(١٨٢١) ، ومسلم (١١٩٦) عن أبي قتادة .
(٣) رواه مسلم في الحج (١١٩٦) عن أبي قتادة.
(٤) اللّطح : الضرب بالكفّ وليس بالشديد .
(٥) رواه أحمد (٣٠٠٣) عن ابن عباس، وقال محققوه: إسناده صحيح، رواه ابن ماجه ، وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٢٤٥١) .

٨ - المصطفى ﷺ حكيماً في أمره ونهيه :

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، وقد أمر النبي ﷺ أن يكون حكيماً في دعوته ، قال له ربه : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقارئ سيرة النبي ﷺ يرى الحكمة تشع نوراً في جنباتها ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتعجبون من حكمته ﷺ ، ومن أعجب ما رواه البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء . قال : في دم ، فأعطاه رسول الله ﷺ شيئا ، ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت ، فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه ، فأشار رسول الله ﷺ إليهم أن كفوا ، فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ منزله ؛ دعا الأعرابي إلى البيت فقال : إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت ، فزاده رسول الله ﷺ شيئا وقال : أحسنت إليك ؟ فقال الأعرابي : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . فقال النبي ﷺ : إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك ، فقلت ما قلت ، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقلت بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم ، فقال : نعم . فلما جاء الأعرابي قال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال ، وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي كذلك يا أعرابي ؟ فقال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . فقال النبي ﷺ : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فقال لهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها ، فتوجه إليها وأخذ لها من قتام

الأرض ، ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها ، وإني لو أطعتكم حين قال ما قال لدخل النار » .

ومن حكمته ﷺ في الحج :

١- ما رواه جابر في حديثه قال : « وأردف الفضل بن عباس ، وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً ، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن يجرين ، فطفق الفضل ينظر إليهن ، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر ، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر (١) .

أرأيت مثل هذا ، الفضل ابن عم رسول الله ﷺ يركب خلف نبيه محمد ﷺ ، فيضرب الشيطان الفضل بسهم من سهامه ، فيحجب النبي ﷺ السهم عن الفضل ، لكن الفضل يعين الشيطان فينظر إلى الجهة الأخرى ؛ ولم يزد النبي ﷺ عن صرف ابن عمه من الجهة الأخرى .

أرأيت لو أن واحداً منا في هذا الموقف ومعه من ينظر إلى النسوة ، ويعيد النظر ، ماذا يكون ؟ سترى الانفعالات والتشنجات ، و« الشخط والنطر » ليس لكون المعصية وقعت ولكن لأن صاحب المعصية لم يراع وجود فلان أو علان .

ولما استفسر العباس عن فعل النبي ﷺ بابنه رد عليه النبي ﷺ قائلاً : « رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما »(٢) .

(١) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر .
(٢) رواه أحمد (٥٦٤) عن علي، وقال محققوه: إسناده حسن ورواه البزار (٥٣٢) ورواه الترمذي . وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم(٧٠٢) .

٢ – وهل رأيت حكمة كهذه يوم أن أمر رسول الله ﷺ من لم يسق الهدي أن يتحلل من إحرامه جاعلاً حجته عمرة فلم يستجب القوم لرسول الله ﷺ وقال بعضهم : نأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المني ! فدخل النبي ﷺ على عائشة مغضباً حتى رأت عائشة – رضي الله عنها – أثر الغضب عليه فقالت مخففة عن النبي ﷺ : من أغضبك يا رسول الله ، أدخله الله النار ؟ قال : أو ما شعرت أني أمرت الناس بأمر ، فإذا هم يترددون ، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتى أشتريه ، ثم أحل كما حلوا »[١].

هنا تظهر الحكمة فيخرج النبي ﷺ إلى القوم كما في رواية البخاري فيقول لهم : « قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم و أبركم، ولولا هديي لحللت كما تحلون ، فحلوا ».

فتأمل معي **أخي الحبيب** كيف فعلت أمنا عائشة ، وكيف فعل رسول الله ﷺ لترى حكمته في كل شيء عليه صلوات الله وسلامه .

٩ – المصطفى ﷺ ميسراً في نسكه :

من العجب العجاب أن يحاول البعض إلزام الناس بما يشق عليهم ، وإجبار الخلق بما فيه شدة عليهم ، وأعجب من هذا أن يكون ذلك باسم الدين .

إن التيسير على خلق الله هو روح هذا الدين ، وإن استقراء نصوص القرآن وصحيح السنة يؤكد على أن التيسير أمر مطلوب ،

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة رقم (٧٣٦٧) ، ومسلم في الحج رقم (١٢١٦) عن جابر .

وقصد مشروع ، وكان إخواننا هؤلاء لم يقرأو قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

أولم يقرأوا قول الله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

أولم يسمعوا قوله جل شانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء : ٢٨]

وقوله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة : ٦]

وقوله عز من قال : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨]

ألم يقل النبي ﷺ لأبي موسى ومعاذ : « يسرا ولا تعسرا »(١) .

ألم يقل النبي ﷺ للأمة كلها : « يسروا ولا تعسروا »(٢) .

ألم تقل عائشة – رضي الله عنها – : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً »(٣) .

ألم يقل هو ﷺ : « خير دينكم أيسره »(٤) .

---

(١) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١١٣٠) ، رواه البخاري في المغازي رقم (٦١٢٤) ، ومسلم في الجهاد (١٧٣٣) عن أبي موسى ومعاذ .

(٢) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١١٣١) رواه البخاري في كتاب العلم (٦٩) ومسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٣٤) عن أنس .

(٣) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١٥٠٢) رواه البخاري في المناقب رقم (٣٥٦٠) ، ومسلم في الفضائل رقم (٢٣٢٧) عن عائشة .

(٤) رواه أحمد (٢٥٩٣٦) عن أعرابي ، وقال محققوه : إسناده حسن . وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٠٩) .

ألم يقل ﷺ في وصف هذه الشريعة : « إني أرسلت بحنفية سمحة ! »[1].

و هذا ما فطن إليه سلفنا الصالح ، وعمل به علماؤنا الأجلاء ، ولهذا قال الإمام سفيان الثوري : إنما العلم الرخصة من ثقة ، أما التشديد فيحسنه كل أحد .

وقال عمير بن إسحاق : كان من أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكبر ممن سبقني فما رأيت قوما أهون سيرة ولا أقل تشديدا منهم .

إن التشديد إن جاز أن يأخذ به الإنسان على نفسه ، فإنه لا يجب عليه إلزام الناس به ، ولذلك قالوا في وصف محمد بن سيرين : كان أرجى الناس لهذه الأمة ، وأشدهم أزراً على نفسه .

وفي حجه ﷺ بدا التيسير منه ﷺ في نسكه من أوله إلى آخره، ومن ذلك :

١ - حجه ﷺ حج على رحل رث وقطيفة لا تكاد تساوي أربعة دراهم[2].

٢ - ويروي لنا ابن عباس مشهداً رائعاً ظهر فيه تيسيره ﷺ بأمته ، وذلك أن رجلاً قال للنبي ﷺ : زرت قبل أن أرمي . قال : « لا حرج » ، قال : حلقت قبل أن أذبح ، قال : « لا حرج »، قال :

---

(١) رواه أحمد (٢٤٨٥٥، ٢٥٩٦٢) عن عائشة ، وقال محققو المسند : حديث قوي وهذا سند حسن .

(٢) رواه ابن ماجه في الحج (٢٨٩٠) عن أنس ، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٥ / ١٩) . وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٢٣٣٧) .

ذبحت قبل أن أرمي . قال : « لا حرج » ، وفي رواية قال : رميت بعدما أمسيت . فقال : « لا حرج » ، قال : حلقت قبل أن أنحر . قال : « لا حرج » ، وفي رواية أخرى ما سئل يومئذ عن شيء إلا قال : « افعل ولا حرج »(١) .

وإذا كان هناك من يقول بأن مخالفة الترتيب في يوم النحر مخالف للسنة ، فإن ابن حزم قال : ما أخطأوا السنة ولا خالفوها ، لأن ما أباحه رسول الله ﷺ ولم ير فيه حرج فهو سنة لكن تركوا الأفضل فقط (٢) .

٣ – ومن تيسيره ﷺ أنه لم يجعل الحلق واجباً على أمته ؛ لكنه جعل الحلق أو التقصير ؛ ولذا لما دعا وقال : اللهم اغفر للمحلقين. قالوا يا رسول الله وللمقصرين ، قال: اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا : يا رسول الله وللمقصرين . قال : اللهم اغفر للمحلقين. قالوا : يا رسول الله وللمقصرين ، قال وللمقصرين(٣) .

٤ – ومن تيسيره على أمته قصره الصلاة الرباعية في منى فصلى الظهر اثنتين والعصر اثنتين والعشاء اثنتين وفي حديث ابن عمر: صلى رسول الله ﷺ بمنى ركعتين(٤) .

٥ – وكذلك جمعه بين الظهر والعصر جمع تقديم مع القصر ليتفرغ للدعاء .

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) المحلى / ابن حزم / ج٧ / ص ٢٦٢ .
(٣) رواه البخاري في الحج رقم (١٧٢٨) عن أبي هريرة.
(٤) رواه البخاري في الحج رقم (١٦٥٥) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٦٩٤) عن عبد الله بن عمر.

٦ – ولعل من يسره بأمته ﷺ جمعه بين المغرب والعشاء بمزدلفة دون أن يتنفل: واضطجاعه حتى الفجر ، وفي حديث جابر : أن النبي ﷺ أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئاً ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر(١) .

أين هذا اليسر ممن يشددون على أنفسهم وعلى خلق الله؛ حاملين الناس دائماً على الأشد ، وإن كان فيه كلفة بالناس ، وإن الفقه كل الفقه لهو التيسير على خلق الله ، ولكن وفق منهج رسول الله ﷺ .

١٠ – المصطفى ﷺ متواضعاً لرعيته :

ضرب النبي ﷺ في حياته كلها أروع الأمثلة للتواضع ، وقد دلت سنته ﷺ القولية والفعلية على حقيقة هذا الخلق وفضله ، ومن كلامه ﷺ : « وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »(٢) . ويقول ﷺ : « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد »(٣) .

وقد كان النبي ﷺ يخالط أصحابه كأنه واحد منهم حتى يدخل الداخل عليهم فلا يعرفه فربما قال : « أيكم محمد ؟ » كما في حديث ضمام بن ثعلبة (٤) .

ومن بديع كلام أبي يوسف رحمه الله : يا قوم أريدوا بعلمكم

---

(١) رواه مسلم في الحج (١٢١٨) عن جابر .
(٢) رواه مسلم في البر والصلة رقم (٢٥٨٨)عن أبي هريرة.
(٣) رواه مسلم في الجنة ونعيمها رقم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار.
(٤) رواه البخاري في العلم (٦٣) عن أنس.

الله ، فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح .

وقد أحسن الشاعر حين قال :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضيع

يقول ابن عطاء الله موضحاً حقيقة التواضع : ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ؛ ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع (١).

أما تواضعه ﷺ في حجه فحدث ولا حرج ، ومن ذلك :

١- انظر رحمك الله إلى ثوبه الذي أحرم فيه (قطيفة لا تساوي دراهم)(٢).

٢- وانظر إلى رحله لتراه كما يقول واصفه : (رحل رث)(٣).

٣- ولا يتفرد ﷺ بدابته بل يردف خلفه ابن عمه الفضل تارة، والحب ابن الحب أسامة بن زيد تارة أخرى .

٤- ولم تكن له ﷺ غير هذه الراحلة عليها يركب ويتنقل ، وعليها طعامه وشرابه ، قال أنس : حج رسول الله على رحل وكانت زاملته(٤).

---

(١) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ص ٥٤ .
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) رواه البخاري في الحج رقم (١٥١٧) عن أنس.

٥ – وما أعظمه حين طلب الماء من العباس عمه : فقال العباس : لابنه الفضل يا فضل : اذهب إلى أمك فأت رسول الله بشراب من عندها – وقد أراد العباس أن يخص النبي ﷺ بشراب – فقال النبي ﷺ : « اسقني ». فقال العباس : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ، قال : « اسقني »، فشرب منه [١] . وفي رواية عند أحمد في المسند : « لا حاجة لي فيه ، اسقني مما يشرب منه الناس ».

٦– وانظر إلى مشهد حلقه ﷺ لترى فيه التواضع : كما عند أحمد : عن معمر بن عبد الله قال : فلما نحر رسول الله ﷺ هديه بمنى ؛ أمرني أن أحلقه ، قال : فأخذت الموسى ؛ فقمت على رأسه ، قال : فنظر رسول الله ﷺ في وجهي فقال لي : « يا معمر أمكنك رسول الله ﷺ من شحمة أذنه وفي يدك الموسى ؟ فقلت : والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمه علي ومنته ».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ رمى جمرة العقبة. ثم انصرف إلى البدن فنحرها. والحجام جالس. وقال بيده عن رأسه فحلق شقه الأيمن فقسمه فيمن يليه. ثم قال : « احلق الشق الآخر" فقال : « أين أبو طلحة ؟ » فأعطاه إياه »[٢] .

أين هذا التواضع ممن ألفوا الكبر حتى في بيت الله وبين يدي رب العالمين ، فترى بعضهم يختال في مشيته ، ويتعالى في نظرته، يريد أن يشار إليه .

انظر إلى جبلة بن الأيهم الذي وفد من دمشق مسلما على

---

(١) رواه البخاري في الحج رقم (١٦٣٥) عن ابن عباس .
(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٠٥) عن أنس.

عمر رضي الله عنه في خلافته بخمس مائة فارس عليهم الديباج والذهب ، وعلى رأسه التاج وقرطا مارية المشهوران ، ثم وطئ الفزاري إزاره في الطواف فلطمه ؛ فقال له عمر رضي الله عنه : إما أن ترضه أو تقيده [1]؛ فلم يرض الفزاري إلا أن يقيده بلطمة مثلها ، فقال : أتقيده مني وأنا ملك! فقال عمر رضي الله عنه : أنتما في حكم الإسلام سواء ، فقال : أمهلني ثلاثة أيام . فأمهله ، فخرج ليلا إلى قيصر فملّكه في بلاده وتنصر ، ثم إن عمر رضي الله عنه أرسل صحابياً إلى قيصر فاجتمع بجبلة ؛ فرأى عنده من الخدم والحشم والجواهر وأواني الذهب والفضة ما أذهله، فسأل عن عمر وعن تلك الديار ثم تأوه وأنشد :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها اللجاج ونخوة ... وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر

ثم قال جبلة للرسول : إن ضمنت لي على عمر ثلاثة أشياء رجعت إلى الإسلام :

- أن يغفر لي ما سلف .
- وأن يزوجني بنته .
- وأن يجعلني ولي عهده من بعده .

فقال له : أما الثنتان فنعم وأما الثالثة فلا ، فرجع الرسول وأخبر عمر رضي الله عنه فقال له : ليتك ضمنت الثالثة والله يؤتي ملكه من يشاء.

(١) القَوَدُ بفتحتين القصاص و أَقَاد القاتل بالقتيل قتله به .

فقارن أخي الحبيب بين الحالين ؛ بين من أراد أن يكون واحداً من الناس ، وبين من يريد أن يكون فوق رقاب الناس ، واختر لنفسك أي القدوتين وأي الهديين .

١١ - المصطفى ﷺ محبباً في ربه :

الناس في دعوتهم إلى الله تعالى أنواع : منهم من يحبب الله في خلقه ، ومنهم من يقنط الخلق من الله ، منهم من يخوف الناس من الهلكة ؛ فربما أفزعهم وآيسهم ، ومنهم من يرجّي الناس في رحمة الله تعالى ، منهم من يجعل الله في نظر خلقه بأنه منتقم جبار ، سريع العقاب شديد العذاب ، ومنهم من يجعل الله عند خلقه تواب رحيم وودود لطيف ، منهم من يأخذ بسوط الترهيب ، ومنهم من يأخذ بكف الترغيب .

والخير أن يجمع الداعية بين الأمرين ، وقد كان من كلام الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه : ألم تر أن الله أنزل الرغبة والرهبة ، لكي يرغّب المؤمن فيعمل ، ويرهّب فلا يلقي بيده إلى التهلكة ، وهذا ما قاله ابن عطاء الله في حكمه حين قال : لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج ، أو قلق مشوق (١).

وقد أحسن ربيب بيت النبوة علي رضي الله عنه حين وصف العالم كل العالم بقوله : من لم يؤيس عباد الله من روح الله ، ولم يؤمنهم مكر الله .

وهذا هو أسلوب القرآن أن يجمع بين الترغيب والترهيب ،

---

(١) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ص ٤٨ .

ويقدم الترغيب على الترهيب قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ ﴾ [الحجر: ٤٩] وفي الحديث القدسي « رحمتي سبقت غضبي »(١).

وهذا هو هدي النبي ﷺ يُرغب قبل أن يُرهب ، وهو في هذا إنما يريد أن يحبب الخلق في الخالق ، ويقرب العبد من المعبود ، ويطمع المسلم في رحمة ربه ، ويرّجّيه في جنته .

وجاء في الأثر : عن زيد بن أسلم : أن رجلا كان في الأمم مجتهداً في العبادة ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله تعالى ثم مات ، فقال : أي رب مالي عندك ؟ قال النار . قال : أي رب فأين عبادتي واجتهادي ؟ قال : فيقول : إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا فانا اقنطك اليوم من رحمتي .

وفي الأثر القدسي : « أن أحب عبادي إلي من حببني إلي عبادي ، وأخبرهم بسعة رحمتي ، وأن أبغض عبادي إلي من قنط عبادي وآيسهم من رحمتي » .

ولقد كان النبي ﷺ في حجه محبباً خلق الله إلى الله ، مرغباً إياهم في ثواب الله ، ولعل جو الحج مناسب لتغليب جانب الترغيب على الترهيب، والرجاء على الخوف ، والرغبة على الرهبة .

وتأمل هذه الأحاديث لترى كيف كان النبي ﷺ يحبب الناس في ربهم بإبراز الأجر والمثوبة ، سواء كانت المثوبة :

(١) رواه البخاري في التوحيد رقم (٧٥٥٤) عن أبي هريرة.

أخروية : مثل قوله ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »(١).

مادية : مثل نفي الفقر : فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب؛ كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ،، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة »(٢).

اجتماعية : مثل ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قالوا : وما الحج المبرور يا رسول الله ؟ قال : إطعام الطعام وإفشاء السلام » . وفي رواية « وطيب الكلام »(٣).

أخلاقية : مثل قوله : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »(٤).

ومع هذا الترغيب لم يغفل ﷺ جانب الترهيب ليوازي الأمران، وتتساوى الكفتان ؛ لكن ترهيبه ﷺ لم يكن ليقنط الناس من رحمة الله ، أو ييئسهم من روح الله ؛ إنما هو ترهيب دافع للعمل، طارد للكسل ، موقظ للهمم ، باعث للعزائم .

ومن ترهيبه ﷺ في الحج :

قوله ﷺ : « من أراد أن يحج فليعجل ، فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة »(٥).

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.

وقوله ﷺ : « تعجلوا الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له »(١).

١٢ - المصطفى ﷺ عمله يطابق قوله :

من بديع كلام الفاروق رحمه الله : إن لله رجالاً أحيوا الحق بذكره ، وأماتوا الباطل بهجره ؛ وهذا الصنف من الناس إنما يطابق عملهم قولهم ، وأنبياء الله تعالى كانوا في ذروة هذا الأمر ، ودين الله إنما يحتاج إلى هذه النوعية من الدعاة ، يمزجون القول بالعمل ، والحلم بالعمل ,أما إذا خالف العمل قول صاحبه ، فهذا هو التهتك الذي قسم ظهر علي بن أبي طالب حين قال : « قسم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك » . وقد أحسن أبو العتاهية حين قال :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كيما يصحُّ به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى ... بالرأي منك وينفع التعليم

ورحم الله سيد قطب يوم أن قال : إن الكلمة لتنبعث ميتة ، وتصل هامدة مهما تكن طنانة رنانة متحمسة إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها ، ولن يؤمن إنسان بما يقوله حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول ، وتجسيماً واقعياً لما ينطق ، عندئذ يؤمن الناس ، ويثق الناس ، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق ، إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من زينتها ، وتستمد جمالها من صدقها

(١) سبق تخريجه.

لا من بريقها ، إنها حينئذ تستحيل دفعة حياة لأنها منبثقة من حياة[١] .

ولقد كان رسول الله ﷺ طيلة حياته صادق المظهر والجوهر ، يطابق فعله قوله ، كما يطابق ظاهره باطنه .

وفي حجه ﷺ تجلى هذا الأمر جيداً ، وما كان ﷺ ليأمر الناس بشيء ولا يأتيه، أو ينهاهم عن شيء ويأتيه .

انظر إليه ﷺ وهو يقول : « **فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله** »[٢] . فإذا كان هذا قوله ﷺ فإن فعله كان سابقاً لقوله ، حيث خرج بأهله وأحسن إليهن أفضل الإحسان ، فلما اشتكت أم سلمة قال لها : « **طوفي من وراء الناس وأنت راكبة** »[٣] .

ولما حاضت عائشة قال لها ﷺ مطيباً خاطرها : « **فلا يضرك أنت من بنات آدم، كتب الله عليك ما كتب عليهن ، فكوني في حجك عسى الله أن يرزقكها** »[٤] وفي رواية « **ما يبكيك يا هنتاه؟** »[٥] .

فكان ﷺ قوله مطابق لفعله مع أهله .

وانظر إليه وهو يعلن على الملأ من الناس حرمة قتل النفس

---

(١) انظر : في ظلال القرآن / ج١ / ص ٦٨ .
(٢) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر .
(٣) رواه البخاري في التفسير رقم (٤٨٥٣) ، ومسلم في الحج رقم (١٢٧٦) عن أم سلمة .
(٤) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٦٠) عن عائشة .
(٥) سبق تخريجه .

وحرمة الربا ، فيبدأ ﷺ بأقرب الناس إليه ليقتدى به ، فبدأ بدم ابن ربيعة بن الحارث ، وبربا عمه العباس ، فقال : « ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث - وكان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل - وربا الجاهلية موضوع ؛ وأول ربا أضع ربانا ؛ ربا عباس بن عبد المطلب »(١) .

ولما دعا ﷺ للمحلقين ثلاثاً كان ﷺ محلقاً ولم يكن مقصراً .

وحين أمر الناس بالسكينة عند الدفع من عرفة كان ﷺ أكثر القوم سكينة ، وأشدهم تذللاً ، وأحسنهم خشية ، وأدناهم من الله قرباً .

ولله در سيد قطب رحمه الله حين قال :

إن آفة رجال الدين – حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة دافعة – أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ؛ يأمرون بالخير ولا يفعلونه ؛ ويدعون إلى البر ويهملونه ؛ ويحرفون الكلم عن مواضعه ؛ ويؤولون النصوص القاطعة خدمة للغرض والهوى ، ويجدون فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص ، ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين ، لتبرير أغراض وأهواء لمن يملكون المال أو السلطان ! كما كان يفعل أحبار يهود !

والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه ، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها . وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم ، لأنهم يسمعون قولا جميلا ، ويشهدون فعلا قبيحا ؛ فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل ؛

(١) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر .

وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة ؛ وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشع الإيمان ؛ ولا يعودون يثقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين (١).

١٣ - المصطفى ﷺ مبلغاً رسالة ربه :

البلاغ عن الله تعالى أمر واجب على كل رسول من رسل الله تعالى ؛ ونبي الله محمد ﷺ كان أكثر إخوانه جهداً في هذا الأمر ؛ وهذا نابع من عالمية رسالته ، وهيمنة شريعته ، ومن يوم أن نزل قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ** ﴾ [المدثر: ١، ٢] ؛ والنبي ﷺ يبلغ رسالة ربه ، ولما نزل قوله تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ؛ لم يلبث رسول الله ﷺ أن صعد الجبل ؛ وصرخ في الناس يا بني فهر ، يا بني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولاً لينظر : ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي ﷺ : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً. قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد(٢).

وجاء القرآن ليؤكد للنبي ﷺ أمر التبليغ ، بل شدد القرآن في لهجة الخطاب للنبي ﷺ وهو يقول له: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ [المائدة: ٦٧].

يقول الشهيد سيد قطب : إنه الأمر الجازم الحاسم للرسول ﷺ

---

(١) في ظلال القرآن - ج١ - ص ٦٨ .

(٢) رواه البخاري في التفسير رقم (٤٧٧٠) ، ومسلم في الإيمان رقم (٢٠٨) عن ابن عباس.

أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه وإلا فما بلغ وما أدى وما قام بواجب الرسالة[١] . ولم يترك النبي ﷺ وسيلة من وسائل التبليغ إلا وسخرها للبلاغ عن ربه .

وفي حجه ﷺ كان حريصاً كل الحرص على هذا البلاغ ويظهر ذلك من قول جابر : « ثم أذن رسول الله ﷺ في الناس في العاشرة — أي السنة العاشرة — أن رسول الله ﷺ حاج ؛ فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله[٢] .

وهذا هو مقصود رسول الله ﷺ أن يأتم به الناس ، ولهذا صرخ في الناس قائلاً : « لتأخذوا عني مناسككم »[٣] .

وللفت انتباههم كما عند الطبراني في الأوسط قال لهم ﷺ : « لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا » .

ومن أجل هذا تعددت خطبه ﷺ وقد ذكرنا سابقاً أنه ﷺ قد خطب أربع خطب في حجه وهي :

الخطبة الأولى : يوم السابع من ذي الحجة عند الكعبة بعد صلاة الظهر .

الخطبة الثانية : يوم التاسع من ذي الحجة « يوم عرفة » قبل صلاة الظهر والعصر .

الخطبة الثالثة : يوم العاشر من ذي الحجة وهو « يوم النحر » .

الخطبة الرابعة : يوم الثاني عشر من ذي الحجة وهو « يوم النفر الأول » .

---

(١) انظر : في ظلال القرآن — ج٢ — ص ٩٣٨ .
(٢) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر .
(٣) سبق تخريجه .

كما تعددت رسله وتعدد المبلغون عنه كعلي وبلال وربيعة بن أمية ﷺ[1].

ولحرصه ﷺ على البلاغ كان يستنطق الناس تبليغه رسالة ربه، ويحمل الشاهد منهم الرسالة لتصل إلى الغائب، فيقول ﷺ: «وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت،، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس، اللهم اشهد، اللهم فاشهد ثلاث مرات»[2].

إنه ﷺ كما يقول الغزالي رحمه الله: كان يستنصت الجماهير المائجة ليؤكد المعاني التي بعث بها، والتي عرفهم عليها، ويخلي ذمته من عهدة البلاغ والتبيان التي نيطت بعنقه[3].

وينبغي هنا أن نؤكد بأن حجة النبي ﷺ أطلق عليها (حجة البلاغ).

لقد أراد النبي ﷺ ذلك بعد أن وصل أصحابه إلى درجة الرشد، ومرحلة النضوج، الذي يصلون فيه إلى تحمل الرسالة، فكان حرياً به ﷺ أن يجمع هذا الجمع الذي لم يلبث أن انتشر في الأرض مبلغاً رسالة محمد ﷺ ولسان حاله يقول:

أنا مصحف يمشي وإسلام يرى ... أنا نفحة علوية فوق الثرى
الكون لي ولخدمتي قد سخرا ... ولمن أنا؟ أنا للذي خلق الورى[4]

---

(١) انظر: ما ذكرته تحت عنوان «المصطفى ﷺ معلماً لأمته».
(٢) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر.
(٣) انظر: فقه السيرة / الغزالي / ص ٦٨٥.
(٤) انظر: نفحات ولفحات / القرضاوي / ص ١١٨.

١٤ - المصطفى ﷺ ينزل الناس منازلهم :

ظل النبي ﷺ طيلة حياته ، ينزل كل امرئ في منزلته ، ويجعل لكل ذي قدر قدراً، وكلماته ﷺ دالة على ذلك ، ومن ذلك : « أنزلوا الناس منازلهم »(١).

وحذر النبي ﷺ من إنقاص الناس قدرهم فقال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا »(٢).

وجعل النبي ﷺ إنزال الناس منازلهم من تعظيم الله جل وعلا فقال :« إن من إجلال الله تعالى : إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه(٣) ، وإكرام ذي السلطان المقسط(٤) »(٥).

ورغب ﷺ في إكرام ذي المنزلة فقال : « ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه »(٦) .

وقد كان ﷺ يعامل الناس بهذا الخلق ، فإن تقدم أحدهم على من هو أكبر منه رده النبي إلى صوابه كما فعل مع عبد الرحمن بن

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٢) . وذكره الألباني في ضعيف أبي داود رقم (١٠٣٢) .

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٨٥) . وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (١٠٣) .

(٣) أي التالي له العامل بما فيه .

(٤) أي العادل .

(٥) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٦٣) . وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم (٤٠٥٣) .

(٦) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٩١) عن أنس، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب رقم (٣٤٨) .

سهل الذي أراد أن يتكلم ومعه من هو أكبر منه فقال النبي ﷺ « كبر كبر »[1] .

وفي حجه ﷺ عرف منه هذا الخلق ، ويظهر ذلك في وقت حلقه ؛ حيث أشار ﷺ على حالقه أن يفرق نصف شعره على الناس ، وخص أبا أيوب الأنصاري بالنصف الباقي ؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله رمى جمرة العقبة ثم انصرف إلى البدن فنحرها والحلاق جالس فأومأ إلى رأسه فقال : احلق فحلق شقه الأيمن فقسمه فيمن يليه : ثم قال : احلق الشق الآخر فحلقه . فقال : أين أبو طلحة ؟ فناوله إياه »[2] .

ومن ذلك أيضاً إردافه ﷺ أسامة بن زيد ، فإنه ولئن كان ﷺ قد أردف الفضل ابن عمه العباس ؛ فإن إردافه لأسامة رضي الله عنه إنما هو إكرام له فضلاً عن كونه إكراماً لأبيه زيد بن حارثة رضي الله عنه .

ومن ذلك أيضاً إعطاء الأنصار والمهاجرين منزلة خاصة في منى حيث جعل لكل منهما مكاناً معلوماً لا ينزل فيه غيرهم حيث قال ﷺ » لينزل المهاجرون هاهنا ، وأشار إلى ميمنة القبلة ، والأنصار هاهنا ، وأشار إلى ميسرة القبلة »[3].

١٥ - المصطفى ﷺ معلناً لحقوق الإنسان :

من المصطلحات الطنانة، والكلمات الرنانة، مصطلح (حقوق

---

(١) رواه البخاري في الأحكام (٧١٩٢) عن عبد الله بن سهل .
(٢) رواه مسلم في الحج (١٣٠٥) عن أنس.
(٣) رواه أبو داود في الحج (١٩٥١) ، وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٧١٩) .

الإنسان) وغدا له يوم تحتفل به ما تدعى بـ(الأمم المتحدة) ومن عجائب هذا الزمن أن من يعيش في ضوء شمعة يروج لها ، وأن من يعيش في ضوء الشمس لا يعبأ بها ، والأمر كما يقول الغزالي رحمه الله : أن الإسلام قضية ناجحة لكنها وقعت في أيدي محامين فشلة .

نعم وقعت قضية الإسلام الناجحة في أيدي من لا يحسنون عرضها ولا الدفاع عنها، بل شوهوا صورتها ، وأخفوا أدلتها ، وأعانوا خصمها عليها ، وكبلوها بعجزهم ، وأخشى أن يحكموا عليها بالإعدام إن ماتت قلوبهم ، وطمست بصائرهم .

وقبل أن ننوه على أول ميثاق من حقوق الإنسان على مر التاريخ ينبغي أن نعرف التطور التاريخي لحقوق الإنسان . يقول الدكتور منير البياتي : يمثل معظم تاريخ حقوق الإنسان حالة مظلمة من الذل ، والهوان ، وانعدام حقوق الإنسان ، ففي الحضارات القديمة في مصر ، وفارس ، والهند ، والصين ، وبابل ، وروما ، وغيرها ، كان الحاكم يعد من طبيعة إلهية ، وكان الناس عبيداً له ، وليس لهم في مواجهته أية حقوق أو حريات فكانت سلطته مطلقة يفعل بهم ما يشاء فهو لم يكن مفوضاً من قبل الإله نفسه بزعمهم .

في مثل هذا الجو لا كلام عن حقوق الإنسان وهي حقبة طويلة مظلمة في تاريخ الإنسان .

ولما أشرق نور الإسلام في القرن السابع الميلادي وأطاح فيما بعد بالإمبراطورية الفارسية وأضاءها بنوره ، وانتزع من الإمبراطورية الرومانية شعوباً كثيرة أضاءها بنوره أيضاً ، ولم يكتب لأوربا أن

تستظل بنور الإسلام ، فبقيت تنتقل من ظلام إلى ظلام لا تعرف شيئاً اسمه حقوق الإنسان (١).

نعم لقد كان محمد بن عبد الله ﷺ في حجته أول من أعلن حقوق الإنسان على مر التاريخ ، وكان هو أول واضع لميثاق حقوق الإنسان ، واسمع إلى خطبته الجامعة التي ألقاها على رؤوس الأشهاد وهو في الشهر الحرام وبالبلد الحرام كما في مسند أحمد : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى . أبلغت؟ قالوا : بلغ رسول الله ﷺ »(٢).

وفي الصحيحين : « إن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام ؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »(٣).

وفي رواية عن عبادة بن عبد الله بن الزبير قال : كان ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي – وهو الذي كان يصرخ يوم عرفة – تحت ناقة رسول الله ﷺ وقال له رسول الله ﷺ : أصرخ – وكان صيتا – أيها الناس أتدرون أي شهر هذا ؟ فصرخ . فقالوا : نعم الشهر الحرام . قال : فإن الله عز وجل قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا

---

(١) انظر : حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون – د : منير حميد البياتي – كتاب الأمة – طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر – ط الأولى –عدد ٨٨ – ربيع الأول ١٤٢٣ هـ – ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٣٤٨٩) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وقال محققو المسند : إسناده صحيح ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٦٤) .

(٣) رواه البخاري في العلم (٦٧) ، ومسلم في القسامة (١٦٧٩) عن أبي بكرة .

ربكم كحرمة شهركم هذا . ثم قال : اصرخ هل تدرون أي بلد هذا؟ فصرخ . فقالوا : البلد الحرام . قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى يوم تلقونه كحرمة بلدكم هذا . ثم قال : اصرخ أي يوم هذا؟ فصرخ . فقالوا : هذا يوم حرام . قال : فإن الله عز وجل قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى يوم تلقونه كحرمة يومكم هذا »(١) .

إن أهم بنود هذا الميثاق الذي تضمنته حجة الوداع ما يلي :

١ – الرب واحد .

٢ – الأب واحد .

٣ – الناس متساوون .

٤ – الدماء مصونة .

٥ – الأموال مصونة .

٦ – الأعراض مصونة .

هذه هي حقوق الإنسان التي لم تسمع عنها أوربا إلا في عصرنا هذا ، ولكن محمداً ﷺ أرسى قواعدها ، ورسخ مبادئها ، وأعلى دعائمها ، وأخرجها من ميدان الكلام إلى ميدان العمل ، ومن حيز القول إلى حيز التطبيق ، حتى عاش أصحابه من بعده بهذه الحقوق ، وهل رأيت كلمة في حقوق الإنسان أروع من كلمة الفاروق يوم أن قال لفاتح مصر عمرو بن العاص : متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

نعم لقد وعى تلاميذ محمد بن عبد الله ﷺ الدرس جيداً منذ

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥ / ٦٧) ، وقال الحافظ الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الكبير مرسلاً - كما تراه - ورجاله ثقات (١ / ٢٧٠) .

أن غضب النبي ﷺ في وجه أبي ذر ؛ وقال له حين قال لبلال : « يا ابن السوداء » فقال ﷺ : « أعيرته بأمه؛ إنك امرؤ فيك جاهلية »(١).

لكن أين الآن دعاة حقوق الإنسان ؟ أين هم ؟ وأين ميثاقهم ؟

لقد ضاعت هذه الحقوق تحت أقدام أصحاب الفيتو.

نعم لقد ضاعت حقوق الإنسان تحت طاغوت الهيمنة للدول الكبرى .

أين هذه الحقوق لملايين البشر في شتى دول العالم ، ممن يعيشون تحت خط الفقر بآلاف الأميال ؟

أين هذه الحقوق للملايين التي لا تجد ما تلتحف به من برد الشتاء ، ولا حر الصيف ؟

أين هذه الحقوق للدول التي تباع وتشترى ؟

أين هذه الحقوق في البوسنة ؟

أين هذه الحقوق في الشيشان ؟

أين هذه الحقوق في أفغانستان ؟

أين هذه الحقوق في كشمير ؟

أين هذه الحقوق في العراق ؟

أين هذه الحقوق في اريتريا ؟

أين هذه الحقوق في فلسطين ؟

ولقد كان محقاً عبد السلام البسيوني حين قال : إننا نعيش

(١) رواه ابن المبارك . وقال الألباني في غاية المرام صحيح رقم (٣٠٧) .

يا سيدي في زمن شعاره (إذا لم تكن ذئباً مزقتك الذئاب) زمن الحصار الجوي والبري والبحري على الشعوب حتى تركع وتحني الرقبة، زمن شعب أبي طالب في الجاهلية المعاصرة ضد العراق وليبيا، ونيجيريا ، وأفغانستان ، والسودان ، وسائر العالم الإسلامي « الكسير » .

نحن في عالم لا مكان فيه يا سيدي للشعراء والعصافير ، والفل والياسمين إلا في الأفلام والأحلام . . . .

أبونا آدم خلق من تراب يا سيدي أعلم . . نعلم . . كل الدنيا تعلم : كلنا من أصل واحد ، لكن فينا من يزعمون أن الله عجن طينتهم بالمسك والبنكنوت والنور . . وأن غيرهم معجون بالقطران والوحل وماء البرك ، رغم أن القوانين تسوي ، والشريعة تسوي ، والعقل يسوي ، والشعارات تسوي . . . لكنها تبقى في النهاية شعارات (١).

١٦ - المصطفى ﷺ منظماً في هديه :

لم يعرف التاريخ شريعة تنظم الناس في كل شعائرها كما هو الحال في شريعة الإسلام ، ويستطيع كل امرئ أن يدرك ذلك جلياً واضحاً في شعائر الإسلام الكبرى من صلاة وصيام وزكاة وحج .

لكن قبل إلقاء هذه النظرة المتأنية في سيرة النبي ﷺ ينبغي أن نضع في الحسبان أن رسول الله ﷺ بعث في أمة مما وصفت به أنها أمة جاهلية ، فلا حضارة ولا تقدم ؛ بل هو التسرع والهمجية .

(١) انظر : مقالة الشيخ عبد السلام البسيوني بعنوان « قراءة دامعة في خطبة الوداع».

و كان زمن البعثة كما يصفه الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله : بعث محمد بن عبد الله ﷺ والعالم بناء أصيب بزلزال عظيم شديد هزه هزاً عنيفاً ؛ فإذا كل شيء في غير محله ، فمن أساسه ومتاعه ما انكسر ، ومنه ما التوى وانعطف ، ومنه ما فارق محله اللائق به وشغل مكاناً آخر ، ومنه ما تكدس وتكوم .

نظر ﷺ إلى العالم بعين الأنبياء ؛ فرأى إنساناً قد هانت عليه آدميته ، رآه يسجد للحجر والشجر والنهر ، وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضرر .

رأى إنساناً معكوساً قد فسدت عقليته ؛ فلم تعد تسيغ البديهيات ، ولا تعقل الجليات، وفسد نظام فكره ، فإذا النظري عنده بدهي ، والعكس ؛ يستريب في موضع الجزم ، ويؤمن في موضع الشك ، وفسد ذوقه فصار يستحلي المر ويستمرئ الوخيم ، ويستطيب الخبيث ؛ فأصبح لا يبغض العدو الظالم ولا يحب الصديق الناصح (١) .

ثم بعث رسول الله ﷺ ليعلم الناس النظام فيقول لهم عند صلاتهم : « أقيموا الصفوف ، فإنما تصفون بصفوف الملائكة، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فرجات للشيطان ، ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله »(٢) .

---

(١) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – الشيخ : أبو الحسن الندوي – ص٨٩ ، ٩٠ – ط دار القلم – ط الثامنة ١٩٧٠م .

(٢) رواه أحمد (٥٧٢٤) عن ابن عمر ، وقال مخرجو المسند : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، ورواه أبو داود (٦٦٦) ، وذكره الألباني في صحيح أبي داوود رقم (٦٢٠) .

ويشدد النبي ﷺ على النظام في الصلاة فيقول : « أقيموا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري »(١) .

ويربط النبي ﷺ بين انتظام الصفوف وتآلف القلوب فيقول : « استووا ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم »(٢) .

ولما رأى رجلاً بادياً صدره من الصف شدد النكير على القوم كلهم فقال : « عباد الله لتسوون صفوفكم ؛ أو ليخالفن الله بين وجوهكم »(٣) .

ويعنف النبي ﷺ سابق الإمام ، وينعته بأشد النعوت لأنه أفسد النظام فيقول : « أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار »(٤) .

وفي الحج كذلك تجلى تنظيمه ﷺ لرعيته ، وانتظامه في نسكه ، فإنه ﷺ على كثرة عدد أصحابه الذين أحاطوا به عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه وكانوا أمام الناظر مد البصر ، لم يذكر التاريخ أن واحداً أظهر تأففه لكثرة العدد ، وكثرة الأتباع ، وأعجب من هذا أن يعمل النبي ﷺ جاهداً ليصل البلاغ إلى كل الناس .

لقد كان النبي ﷺ يعلم الناس نسكاً ما ألفوها بهذا الشكل

---

(١) رواه البخاري في الأذان (٧٢٥) عن أنس .
(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٣٢) عن أبي مسعود .
(٣) رواه البخاري في الأذان (٧١٧) ، ومسلم (٤٣٦) عن النعمان بن بشير .
(٤) رواه البخاري في الأذان (٦٩١) ، ومسلم في الصلاة (٤٢٧) عن أبي هريرة .

الجديد ؛ فإنهم وإن حجوا وزاروا من قبل فعلى دين آبائهم لا على دين إبراهيم ، وعلى ملة أجدادهم لا على ملة الخليل ، وكان دور النبي ﷺ أن يعلم الناس نسكاً بهدم أنساك أخر ، وهذا يحتاج إلى دقة ونظام .

فإن ألفوا في تلبيتهم : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك »؛ فإنه ﷺ يرفض هذه التلبية ويأتي بأخرى لا كفر فيها ولا شرك .

وإن ألفوا الوقوف في المزدلفة ؛ فإنه ينظمهم على أن يقفوا بعرفة .

وإن ألفوا الإفاضة من عرفة قبل الغروب ؛ فإنه ينظمهم على أن يفيضوا بعد الغروب .

وإن ألفوا الخروج من مزدلفة قبل الشروق ؛ فإنه ينظمهم على أن يفيضوا بعد الشروق .

وحين يسأله رجل فيقول : من أين نهل يا رسول الله ؟ فيقول ﷺ : « يهل أهل المدينة من ذي الحليفة ، وأهل الشام من الجحفة، وأهل نجد من قرن ، وأهل اليمن من يلملم »(١) فهذا هو عين النظام، حتى لا تختلط المواقيت المكانية على الناس ، أو تتداخل عليهم الأماكن .

لقد كان الحبيب ﷺ يوصي الناس بالسكينة والهدوء فيقول: « أيها الناس !عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع(٢) »(٣).

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) الإيضاع : أي بالإسراع .
(٣) رواه البخاري في الحج (١٦٧١) عن ابن عباس.

وكان يسير العَنَق - أي السير الرفيق - فإذا وجد فجوة - أي مكاناً متسعاً - نص - أي أسرع - (١)»(٢).

وأمره ﷺ بالسكينة وصية يُستشعر منها مدى اهتمامه ﷺ بالنظام .

وانظر إليه ﷺ وهو يقول لعمر رضي الله عنه فيما رواه الشافعي في سننه : «يا أبا حفص إنك رجل قوي ، فلا تزاحم على الركن ، فإنك تؤذي الضعيف، ولكن إن وجدت خلوة فاستلم ، وإلا فكبر وامض».

انظر **أخي الحبيب** : إنه يريد من عمر رضي الله عنه ألا يزاحم حتى لا يحدث خللاً أو ينشئ فوضى . وتأمل منظر الحجيج ، لترى روعة النظام التي أرادها محمد بن عبد الله ﷺ ، اتحاد في الزي ، ووحدة في الطواف ، واتفاق في السعي ، كلهم يبيت في منى ، ويقفون بعرفة ، ويفيضون إلى المزدلفة ، حتى إذا كان يوم الحج الأكبر وهو اليوم العاشر من ذي الحجة ؛ وكثرت أعماله ، وتعددت الأفعال فيه ؛ هنا يبيح النبي ﷺ التقديم والتأخير ، ويقول لمن سأله عن التقديم والتأخير : «افعل ولا حرج»(٣) . وهو بهذا يريد المحافظة على النظام حتى لا يعمد الناس إلى فعل واحد فيزداد ازدحامهم ، ويختل نظامهم .

ولهذا لما كان ﷺ في منى ؛ نظم الناس وأجلس كل جماعة في موضع ؛ كما في حديث عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من أصحاب

---

(١) العَنَق : أي السير الرفيق ؛ فإذا وجد فجوة : مكاناً متسعاً ؛ نص : أسرع.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير رقم (٢٩٩٩) ، ومسلم في الحج (١٢٨٦) عن أسامة بن زيد .

(٣) رواه البخاري في الحج رقم (١٧٢٣) عن ابن عباس.

النبي ﷺ قال : خطب النبي ﷺ الناس بمنى ؛ وأنزلهم منازلهم فقال : لينزل المهاجرون ههنا وأشار إلى ميمنة القبلة ، والأنصار ههنا وأشار إلى ميسرة القبلة ، ثم لينزل الناس حولهم »(١) .

تأمل هذا كله ، وانظر إلى الفوضى التي يحدثها الناس في حجهم في عصر ادعى أهله التقدم ، ووصف أهله بالحضارة .

إن أمة الإسلام الآن لا تحسن ركوب « حافلة » أو النزول من أخرى ، فإن ترك الأمر لهم رأيت ما يسوؤك ، وسمعت ما تكره ، وأين هذا من نظام رسول الله ﷺ ؟

١٧ - المصطفى ﷺ مقتدياً بإخوانه :

النبي ﷺ سبقه إخوان كثر ، منهم الأنبياء ومنهم المرسلون، وقد جاء ﷺ مصدقاً لما أتوا به ، ومهيمناً عليه ، وهم جميعاً إخوة، قال ﷺ : « الأنبياء إخوة لعلات (٢)، أمهاتهم شتى ودينهم واحد »(٣) .

وقد أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يقتدي بمن سبقه منهم فقال له : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام : ٩٠]، وقال سبحانه : ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٠].

والنبع الذي اغترف منه النبي ﷺ هو الذي اغترف منه إخوانه

(١) سبق تخريجه .
(٢) الأنبياء أولاد علَّات : أي أنهم لأمهات مختلفة، ودينهم واحد ، والمعنى : أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة .
(٣) رواه مسلم في الفضائل رقم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة .

السابقون ، والأمر كما قال النجاشي لما سمع كلام جعفر بن أبي طالب : «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»(١) .

ولما ادعى اليهود يهودية إبراهيم ، وقالت النصارى بنصرانيته؛ قال الله تعالى لنبيه الكريم : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران : ٦٧]

ثم خص الله نبيه ﷺ وأمته بإبراهيم عليه السلام فقال : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ [آل عمران : ٦٨]

وقد ظهر اقتداء النبي ﷺ بإخوانه السابقين في منسك الحج ، وقد أخبر النبي ﷺ أصحابه بصنيع نفر من الأنبياء في حجهم ومن ذلك :

ما روي في حج آدم عليه السلام عن محمد بن كعب القرظي أو غيره قال : حج آدم عليه السلام فلقيته الملائكة قالوا : بر نسكك آدم لقد حججنا قبلك بألفي عام» .

وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال : لما أتى إبراهيم خليل الله صلوات الله عليه وسلامه المناسك ؛ عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى

(١) انظر : الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري - ط دار الفكر - ط. الأولى عام ١٩٩١م - ص٨٤ .

ساخ في الأرض ؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما : الشيطان ترجمون ، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون »(١) .

وقد جاء في وصف حج موسى ويونس - عليهما السلام - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ؛ فمررنا بواد فقال : أي واد هذا ؟ فقالوا وادي الأزرق . فقال : كأني أنظر إلى موسى ؛ فذكر من لونه وشعره شيئا لم يحفظه داود واضعاً إصبعيه في اليسرى له جؤار إلى الله بالتلبية ماراً بهذا الوادي ، قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال : أي ثنية هذه ؟ قالوا : هرشى أو لفت فقال : كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف ، خطام ناقته ليف خلبة ، مارا بهذا الوادي ملبيا »(٢) .

وأكد النبي ﷺ على اقتدائه بأبيه إبراهيم حين أرسل ابن مِرْبَع للناس في عرفة ليقول لهم : « كونوا على مشاعركم ، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم »(٣) .

ولقد كان عمر رضي الله عنه ملهماً حقاً حين وقف عند المقام وقال للنبي ﷺ : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت الآية »(٤) . لأنه يعرف حب النبي ﷺ في الإقتداء بأبيه إبراهيم عليه السلام .

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤ / ٣١٥) والحاكم (١ / ٦٣٨) وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وقال : على شرط مسلم و البيهقي في الكبرى .وذكره الألباني في صحيح الترغيب (١١٥٦) .

(٢) رواه مسلم في الإيمان رقم (١٦٦) .

(٣) رواه أحمد (١٧٢٣٣) عن ابن مربع الأنصاري، وقال محققو المسند : إسناده صحيح ، رجاله ثقات، ورواه ابن ماجه(٣٠١١) والترمذي (٨٨٣) وأبو داود (١٩١٩) ، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٨٦) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج١ - ١٧١ .

إن هذه الأحداث يأتيها النبي ﷺ وهو يقتدي بإخوانه السابقين؛ وهو في اقتدائه تمر عليه هذه الأطياف المباركة . يقول صاحب الظلال عن هذه الأطياف المباركة :

الحج موسم عبادة تصفو فيه الأرواح ، وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام . وهي ترف حول هذا البيت وتستروح الذكريات التي تحوم عليه وترف كالأطياف من قريب ومن بعيد . .

طيف إبراهيم الخليل عليه السلام وهو يودع البيت فلذة كبده إسماعيل وأمه ، ويتوجه بقلبه الخافق الواجف إلى ربه : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

وطيف هاجر وهي تستروح الماء لنفسها ولطفلها الرضيع في تلك الحرة الملتهبة حول البيت ، وهي تهرول بين الصفا والمروة وقد نهكها العطش ، وهدها الجهد وأضناها الإشفاق على الطفل . . ثم ترجع في الجولة السابعة وقد حطمها اليأس لتجد النبع يتدفق بين يدي الرضيع الوضيء . وإذا هي زمزم . ينبوع الرحمة في صحراء اليأس والجدب .

وطيف إبراهيم عليه السلام وهو يرى الرؤيا ، فلا يتردد في التضحية بفلذة كبده ، ويمضي في الطاعة المؤمنة إلى ذلك الأفق البعيد : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [الصافات: ١٠٢] فتجيبه الطاعة الراضية في

إسماعيل عليه السلام: ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وطيف إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – يرفعان القواعد من البيت ، في إنابة وخشوع : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وتظل هذه الأطباف وتلك الذكريات ترف وتتتابع ، حتى يلوح طيف عبد المطلب، وهو ينذر دم ابنه العاشر إن رزقه الله عشرة أبناء . وإذا هو عبد الله . وإذا عبد المطلب حريصا على الوفاء بالنذر . وإذا قومه من حوله يعرضون عليه فكرة الفداء وإذا هو يدير القداح حول الكعبة ويضاعف الفداء ، والقدح يخرج في كل مرة على عبد الله ، حتى يبلغ الفداء مائة ناقة بعد عشر هي الدية المعروفة . فيقبل منه الفداء ، فينحر مائة وينجو عبد الله . ينجو ليودع رحم آمنة أطهر نطفة وأكرم خلق الله على الله - محمد رسول الله - ثم يموت ! فكأنما فداه الله من الذبح لهذا القصد الوحيد الكريم الكبير !

ثم تتواكب الأطياف والذكريات . من محمد رسول الله وهو يدرج في طفولته وصباه فوق هذا الثرى ، حول هذا البيت .. وهو يرفع الحجر الأسود بيديه الكريمتين فيضعه موضعه ليطفئ الفتنة التي كادت تنشب بين القبائل .. وهو يصلي .. وهو يطوف .. وهو يعتكف .. وإن خطواته – عليه الصلاة والسلام – لتنبض حية في الخاطر ، وتتمثل شاخصة في الضمير ، يكاد الحاج هناك يلمحها وهو مستغرق في تلك الذكريات.. وخطوات الحشد من صحابته الكرام وأطيافهم ترف وتدف فوق هذا الثرى ، حول ذلك البيت ، تكاد تسمعها الأذن وتكاد تراها الأبصار ![1].

(١) انظر : في ظلال القرآن / ج٤ / ص ٢٤١٩ .

وها هو رسول الله ﷺ يخبر عن حجة ابن مريم في آخر الزمن فيقول أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « ليهبطن عيسى بن مريم حكما عدلا، وإماما مقسطا، وليسلكن فجا، حاجا أو معتمرا، أو بنيتهما، وليأتين قبري حتى يسلم، ولأردن عليه». يقول أبو هريرة: أي بني أخي، إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام (١).

١٨ ـ المصطفى ﷺ يحدد المرجعية العليا :

كان النبي ﷺ على يقين من موته ، وعلى علم بدنو أجله ، وقرب وفاته ، ومن ثم فإنه ﷺ كان يعمل جاهداً على تحديد المرجعية العليا لأصحابه في حياته وبعد مماته ، وكان القرآن يتنزل على النبي ﷺ ليؤكد هذا الأمر ، قال تعالى : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال : ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد حرص النبي ﷺ على أن تكون المرجعية العليا لله ولرسوله ﷺ ، وأبى أن تكون هناك مرجعية أخرى غير ذلك ؛ فلا مرجعية لبشر غير رسول الله ﷺ ؛ إذ لا بشر معصوم غيره ، ولا كتاب آخر ؛ إذ لا وحي غير القرآن .

(١) رواه الحاكم في مستدركه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي (٢ / ٥٩٥).

وهذا ما دعا النبي ﷺ يظهر غضبه من عمر رضي الله عنه بل يغلظ لعمر في الكلام حين رآه يقلب في يده صحيفة من التوراة فابتدره بقوله : «أمتهوكون(١) فيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني»(٢).

وفي رواية قالوا : إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟! فقال: أمتهوكون أنتم تهوك اليهود والنصارى؟ ! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»(٣).

وقد تجلى هذا الأمر في الحج حيث قال : « لتأخذوا عنى مناسككم»(٤).

وفي قوله ﷺ محدداً المرجعية بقوله : « ألا أيها الناس ، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ؛ أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ؛ فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به »(٥).

وفي رواية «قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به :

---

(١) أي : أمتحيرون .

(٢) رواه أحمد (١٥١٥٦) عن جابر ، وقال محققو المسند : إسناده ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب(١٧٧) والدارمي (٤٣٥) . وقال الألباني في كتاب السنة : حسن رقم (٥٠) .

(٣) رواه البيهقي في الشعب (١/ ٢٠٠) وقال الألباني في مشكاة المصابيح حديث حسن (١٧٥) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) رواه مسلم في فضائل الصحابة رقم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم.

كتاب الله ، وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت »(١).

ولقد وعى أصحاب رسول الله ﷺ هذا الدرس في حياته وبعد مماته ، فما كان واحد منهم ليتلقى في مناسكه - وفي غير مناسكه - عن غير الله ورسوله ، ويبدو هذا من كلام الصحابة حين أردف النبي ﷺ ابن عمه الفضل ، فجلسوا ينتظرون مجيء الفضل ليخبرهم بصنيع النبي ﷺ ثم قالوا : يخبرنا صاحبنا بما صنع رسول الله ﷺ .

وبعد مماته ﷺ وقف عمر رضي الله عنه أمام الحجر ليؤكد على هذه المرجعية العليا فقبله ثم قال : « إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك »(٢).

ولقد بدا لعمر رضي الله عنه في نفسه يوماً أن يدع الرمل في الطواف والإضطباع فيه ، بعد انتهاء العلة وذهاب الحكمة منه ، لكنه راجع نفسه ، وأبى إلا أن تكون المرجعية لله ولرسوله ، يقول زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب ؟ وقد أطأ(٣) الله الإسلام ، ونفى الكفر وأهله، ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ(٤).

ولهذا كان رد ابن عباس رضي الله عنه قوياً ومقنعاً لمعاوية رضي الله عنه عندما

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٩٧) عن عمر .
(٣) ثبت .
(٤) رواه أحمد (٣١٧) وقال مخرجو المسند : صحيح لغيره وهذا إسناد حسن ، ورواه أبو داود (١٨٨٧) وابن ماجه (٢٩٥٢) ، وذكره الألباني في صحيح أبي داود (١٦٦٢) .

أراد معاوية رضي الله عنه أن يستلم أركان الكعبة – السنة استلام الركنين ، اليمني والذي يليه ، دون العراقي والشامي – هنا نظر ابن عباس رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه قائلاً كما في مسند أحمد : لم تستلم هذين الركنين ولم يكن رسول الله ﷺ يستلمهما ؟ فقال معاوية : ليس من البيت شيئاً مهجوراً ، فقال ابن عباس : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب : ٢١]، فقال معاوية : صدقت .

هكذا رد ابن عباس معاوية إلى سنة حبيبه ﷺ ، موضحاً له أن الاقتداء الحسن لا يكون إلا في متابعة النبي ﷺ ، وأن الأسوة الحسنة لا تكون إلا في رسول الله ﷺ .

وما أحوج أمتنا الآن أن تعي هذا الدرس ، فترمي خلف ظهرها كل مايصدها عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

١٩ – المصطفى ﷺ ناصراً للمرأة :

شائعة كاذبة روج لها المروجون ، ولاكها بأفواههم (المغفلون) وطبل لها (المطبلون) حتى غدت عند البعض حقيقة لا وهماً ، وحقاً لا باطلاً ، هذه الشائعة تقول « بأن الإسلام ظلم المرأة » .

وهذه الشائعة أشبه بقصة جحا حين أشاع في الناس كذباً بأن السلطان دعا القوم إلى وليمة ، فاندفع الناس إلى بيت السلطان فلما رأى جحا إقدامهم سارع في اللحوق بهم ليكون أول الداخلين ، وقال في نفسه : لعل الأمر صدق ، ونسي أنه صاحب الإشاعة ومروج الكذبة ، والداعي إلى الوليمة الكاذبة . وهكذا أشاع المغرضون كذبتهم أو ألقيت في أفواههم ، فصدقوا أنفسهم وخرج علينا أنصار تحرير المرأة من كل حدب وصوب ، يطالبون برفع الظلم عن المرأة ،

وفك القيود عنها ، بداية من قاسم أمين ومروراً بهدى شعراوي وانتهاء بنوال السعداوي و آخرين .

والعجب أن هؤلاء القوم ما فهموا الإسلام ، ولا عرفوا مقاصد شرعيته . و الظلم الذي ينادوا لرفعه عن المرأة ، فهو إن وجد فإنما هو ظلم العادات ، أو التقاليد ، أو الأعراف البالية ، أما الإسلام فلم تر الدنيا شريعة كشريعته تصون المرأة ، وتجعل منها ياقوتة ثمينة ، وجوهرة غالية ، صانتها من يد العابثين ، وأعين المستهترين ، وغرائز المتفلتين .

وانظر إلى هذه الشريعة الغراء لترى تكريم المرآة إنساناً ، وبنتاً ، وزوجة ، وأماً .

١ – أما تكريم المرأة إنساناً ، فلم ينكر الإسلام إنسانيتها كما زعم البعض ، ولم يعتبرها مخلوقاً خلق لخدمة الرجل كما زعم آخرون، وإنما جعلها مع الرجل كجناحي طائر ، أو رئتي إنسان ، فكما أن الطائر لا يطير إلا بجناحيه ، وأن الإنسان لا يجيد الحياة إلا برأتيه ، فكذلك المجتمع لا يصلح إلا بتوعية الرجل والمرأة ، لأنهما ليسا ندين ولا متنافسين ، ولا متخاصمين ، بل متحابين متعاونين متعاطفين .

٢ – تكريم المرأة أنثى ، حيث اعترف الإسلام بأنوثة المرأة ، ويظهر تكريم الإسلام لأنوثة المرأة في الأمور الآتية :

- المحافظة على أنوثة المرأة لتظل ينبوعاً للعواطف والحنان ؛ ولهذا أحل لها ما تقتضيه أنوثتها كالذهب والحرير .
- مراعاة ضعفها فجعلها أبداً في ظل رجل مكفولة النفقات ، مكفية الحاجات .

● المحافظة على خلقها وحيائها .

٣ – تكريم المرأة باعتبارها أماً : فلا يعرف التاريخ ديناً ولا نظاماً كرم المرأة باعتبارها أماً وأعلى من مكانتها مثل الإسلام ، وهذا ظاهر في آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ .

٤ – تكريم المرأة بنتاً : ويظهر هذا التكريم في الأمور الآتية :

● تحريم الوأد ﴿ **وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ** ﴾ [التكوير : ٨] .

● اعتبار البنت هبة كالابن من الله تعالى ﴿ **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً** ﴾ [الشورى : ٤٩] .

● جعل جزاء من يحسن إلى البنات الجنة « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو » وضم أصابعه [١] .

● جعل الإسلام سلطان الأب على ابنته لا يتجاوز حدود التأديب والرعاية ، فلا يصل إلى حد البيع .

● رفض الإسلام إجبار البنت على الزواج من أحد تكرهه [٢] .

وفي حجه ﷺ بدا اهتمامه بالنساء ، وأكد على الوصية بهن ؛ فقال ﷺ : « فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف »[٣] .

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة رقم (٢٦٣١) عن أنس .
(٢) انظر : ملامح المجتمع المسلم – د : يوسف القرضاوي – ص ٣٢١ وما بعدها بتصرف .
(٣) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر وقد سبق .

هذه وصية من أبلغ وصاياه ﷺ بالنساء في حجة تعد حجة الإسلام، أعلن فيها النبي ﷺ ما لهن وما عليهن ، والعجيب أن طويلات اللسان منهن ، واللائي خلعن « برقع الحياء » وزهدن فيما عند الله ؛ أملاً في الحصول على ما عند بنات « العم سام »، هؤلاء جميعاً يجدن الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة ، والمفاهيم المغلوطة ، والقصص الواهية ، والروايات الكاذبة لإشعار الناس بظلم الإسلام للمرأة .

ولعل أروع ما يظهره نسك الحج من مظاهر التكريم والنصرة للمرأة ، هو كون السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج ، ولا يصح لإنسان حج ما لم يأت بهذا الركن .

إن الأمة كلها برجالها ونسائها يجعلون من هاجر – عليها السلام – إماماً يأتمون به ، وهم في صنيعهم مقلدون لها، محيون صنيعها بين الصفا والمروة ، حتى هرولتها في بطن الوادي سن للرجال تقليدها فيه، ونهي النساء عن ذلك حفاظاً لهن .

ومن مواقف المرأة الخالدة في مناسك الحج إكرام الله لها بماء زمزم وما من زائر يزور يوم يزور ، ويشرب بعد أن يطوف ، إلا ولهاجر فضل في سقياه هذه .

وأورد هنا مثالاً واحد وهو استشهادهم بحديث « ناقصات عقل ودين » [1] ويدعين أن الإسلام رمى النساء بالنقص في العقل والدين ، ولن نطيل الكلام في الرد عليهن ولكن نقول لهن ولمن وراءهن ، أيهما أشد :

---

(١) رواه البخاري في الزكاة رقم (١٤٦٢) عن أبي سعيد الخدري ، ورواه مسلم في الإيمان رقم (٧٩) عن عبد الله بن عمر .

مجرد النقص ؟

أم بلوغ النقص إلى المنتصف ؟

هذا ما حكم به الإسلام على الرجل ، فهو بدون المرأة لم يكتمل دينه ، بل لم يحز نصف دينه بغياب المرأة عنه ، وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي » (١)وفي رواية البيهقي قال رسول الله ﷺ : « إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي ».

قال المناوي : جعل التقوى نصفين ؛ نصفا تزوجا ونصفا غيره ، قال أبو حاتم : المقيم لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه ؛ وقد كفي بالتزوج أحدهما (٢).

فأين الظلم أيها الناس ؟

وأرى أننا في عصر يحتاج فيه الرجال إلى الإنصاف من النساء لا العكس ، وهذا ما دعا عبد السلام البسيوني أن يوجه لهن كلاماً لاذعاً ساخراً قال فيه : هل تحدثت سيدي عن نسائنا العواني ، وعن حقهن علينا ؟! آه يا سيدي لو رأيتهن وقد رفعن أسنمة البخت فوق الرؤوس ، ووضعن اللبانة في الأشداق ، والعدسات الملونة في الأحداق، وزججن الحواجب ، وهززن القدود ، وسرن بين خلق الله

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٩٤) والحاكم (٢/ ١٧٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،والبيهقي في الشعب(٤/ ٣٨٣) وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبدالرحمن عن أنس وعنه زهير ابن محمد ولم أعرفه إلا أن يكون عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فيكون إسناده منقطعا وإن كان غيره فلم أعرفه (٤/ ٢٧٢) . وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم(١٩١٦) .

(٢) فتح القدير – المناوي – ج ٦ – ١٠٣ .

التائقين ، كاسيات عاريات مائلات .. مميلات .. متديكات متحذلقات ، وقد برزت لهن عضلات ومخالب ، وتعلمن المصارعة والنزال ، أبرزت كثير منهن المواهب في الفضائيات ، يتحدين بها الرجال !! وقد علقن على الجباه شعارات رفض الإسلام ، ونبذ العفاف .. والحرية الاقتصادية ، وسلاسة العلاقة الإنسانية !!!

آه لو رأيت يا سيدي الدنيا تتسع لكل أحد - حتى الشواذ وعباد الشيطان - إلا الملتزمين والملتزمات ، آه لو رأيت جرأة الراقصات وسطوة الكاتبات ، « ورزالة المثقفات » !!

آه يا سيدي .. لم يعد الستات عواني عندنا .. بل صرنا نحن الأساري عندهن ..

لم يعدن ينتظرن الإذن يا سيدي .. فحق « المدام » دستوري في أن تروح وتجيء ، وتسافر وتتفسح ، ولم يعد لبعلها « الطرطور » حق في أن يقول لها « كنت فين يا بنت » ؟

صار التعدد حراماً ، والحجاب حراماً ، ولزوم البيت حراماً ، وطاعة الزوج حراماً ، والعفاف حراماً ، بل يزعم « مقصوفات الرقبة » أن الله تعالى قد ظلمهن حين أعطى الرجل القوامة ، ونصفهن في الميراث ، وقيدهن في الشهادة .

صارت إحداهن يا سيدي تطالب بأجرة على عمل " السلطة " وترتيب السرير ، وصب القهوة لضيوف زوجها !!

هل أوصيتنا بهن خيراً يا حبيبي ؟ فمن يوصيهن بنا الآن ؟!

من يوصيهن بنا وهن لا يسمعن لرسول، ولا يستجبن لنصيح، ولا صوت عقل ، ولا نداء فطرة ، بل تقودهن « عدوات أنفسهن » يا سيدي .. تقودهن نساء معقدات ، تبرأن من الأنوثة ، وانخلعن من

الحياء وفشلن في أن يكون لهن بيوت وأسر مثل كل البشر ، فقررن أن يسقطن كل البيوت ، بمنطق علي وعلى أعدائي يا دليلة [1] .

٢٠ ـ المصطفى ﷺ يؤصل لفقه الدعوة إلى الله تعالى :

كانت الدعوة إلى الله تعالى هي الشغل الشاغل لرسول الله ﷺ ، وكيف لا ووظيفته ﷺ الأولى هي كونه داعية إلى الله عز وجل، وهل أرسله ربه إلا ليدعو الناس إلى رب الناس ؟ وقد كان ﷺ يربي أصحابه ليكونوا دعاة من بعده ، كما أراد ﷺ أن يربي أصحابه على ما رباه عليه ربه ؛ ليربي أصحابه الناس على ما ربوا عليه .

والدعوة إلى الله تعالى ليست مجرد أقوال تحفظ ، أو نصوصاً تملى على الناس ، لكنها مع الأقوال والنصوص فقه يؤصل ، وقواعد تقعد ، وأصول يبنى عليها ، وفي حجه ﷺ بدا تأصيله ﷺ لفقه الدعوة وأصوله ، ومن ذلك :

أولاً : فقه الأولويات :

يدرك كل مستبصر بدين الله أن أوامر الشرع ليست على درجة واحدة ، فمنها الفرض والواجب وفيها المستحب والمندوب ، ومنها الحرام والمكروه ، ومنها الواجب والأوجب ، والمؤكد والأوكد ، والحسن والأحسن ، والدعوة إلى الله تعالى تحتاج من الداعية أن يقدم المفروض على المسنون والواجب على المندوب ، والأحسن على الحسن، والأهم على المهم ، وكبير المصلحة على صغيرها ، ودائم المصلحة على منقطعها .

وفي حجه أظهر النبي ﷺ فقه الأولويات ، حيث أنه ﷺ أخبر

---

(١) انظر مقالة الشيخ عبد السلام البسيوني بعنوان قراءة دامعة في خطبة الوداع .

عن أجر المحلقين والمقصرين فقال : « اللهم اغفر للمحلقين . قالوا يا رسول الله وللمقصرين ، قال : اللهم اغفر للمحلقين ، قالوا : يا رسول الله وللمقصرين . قال : اللهم اغفر للمحلقين . قالوا : يا رسول الله وللمقصرين ، قال وللمقصرين »(١).

لكنه ﷺ لانشغاله دائماً بالأهم وبالأولى ولهذا دعا للمحلقين ثلاثا، وللمقصرين مرة واحدة .

ثانياً : فقه الموازنات :

ومن الضروري أيضاً لكل داعية أن يوازن في دعوته بين المصالح والمنافع ، وبين المضار والمفاسد ، وبين المصالح والمفاسد ، وإذا كان الفقهاء قد قعدوا لذلك وقالوا بأن : - درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة .

- المفسدة الصغيرة تغتفر من أجل المصلحة الكبيرة .
- المفسدة العارضة تغتفر من أجل المصلحة الدائمة(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : إذا ثبت أن الحسنات لها منافع وإن كانت واجبة كان في تركها مضار ، والسيئات فيها مضار ، وفي المكروه بعض حسنات ، فالتعارض إما :

١ - بين حسنتين لا يمكن الجمع بينهما ؛ فيقدم أحسنهما بتفويت المرجوح .

٢ - بين سيئتين لا يمكن الخلو منهما ؛ فيدفع أسوأهما باحتمال أدناهما .

(١) رواه البخاري في الحج رقم (١٧٢٨) عن أبي هريرة .
(٢) للزيادة في هذا الموضوع انظر : في فقه الأولويات - د : يوسف القرضاوي .

٣ – بين حسنة وسيئة لا يمكن التفريق بينهما ؛ بل فعل الحسنة مستلزم لوقوع السيئة ؛ فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ومضرة السيئة .

٤ – وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة ؛ فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ومضرة السيئة [١] .

ويقول في موضع آخر : فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له ، فإن كان يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أ كثر لم يكن مأموراً به ، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته[٢] .

وفي حجه أصل لهذا الفقه الدعوي حين قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ : ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله أفلا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال رسول الله ﷺ : لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت[٣] .

ثالثاً : فقه الخلاف :

من أحوج ما تحتاج إليه الأمة في وقتنا هذا أدب الخلاف أو فقه الخلاف ؛ وخصوصاً أبناء الحركة الإسلامية ، ومما يغيب عن كثير من أبناء الإسلام ، أن المسألة الواحدة قد تحتمل أكثر من رأي ، وتتسع

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ج٣٠ – ص ٤٨ ـ ٦١ باختصار شديد .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى / ابن تيمية / ج٢٨ / ص ,٢٩

(٣) رواه البخاري في التفسير رقم (٤٤٨٤) ومسلم في الحج رقم (١٣٣٣)

لأكثر من وجه ، وهنا يجوز لكل أحد أن يأخذ برأي دون آخر دون تأثيم أو تفسيق ، فإن اقتدى أحد ببلال آخذاً بالعزيمة فنعم هو ، وإن خالفه غيره واقتدى بعمار آخذاً بالرخصة فلا إثم عليه .

وعلى هذا ربي النبي ﷺ أصحابه ؛ يقول ابن مسعود رضي الله عنه : سمعت رجلاً قرأ آية قد سمعت من النبي ﷺ خلافها ؛ فأخذته بيده فانطلقت به إلى النبي ﷺ ، فقال : النبي ﷺ : كلاكما محسن »(١) .

وهذا ما يطلق عليه الفقهاء « جواز تعدد الصواب » ويطلق على أصحابه بأنهم المصوبة .

وفي حجه ﷺ رأيناه يشرع للناس أنواع النسك الثلاثة (الإفراد – القران – التمتع) ولم يعنف واحداً ، أو يؤثم آخر .

كما أنه في أيام منى أخبر عن ربه ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ [البقرة : ٢٠٣] .

وكذلك في حلقه ﷺ فإنه وإن حلق فلم يعنف المقصرين ، ولم يحمل عليهم حملة شعواء ، بل دعا لهم كما دعا للمحلقين ، وإن كانت الدعوة مرة لا ثلاث .

إن هذه الأمور وغيرها من مناسك الحج جديرة بالنظر فيها نظرة تمهل وترو ، كما أنها جديرة بالتأسي والتطبيق ؛ حتى لا نقدم ما حقه التأخير ونؤخر ما حقه التقديم ، أو نهول ما من شأنه التهوين ، ونضخم ما من حقه التضعيف .

---

(١) رواه البخاري في النكاح رقم (٥٠٦٢) عن عبد الله بن مسعود .

الفصل الرابع
الحج دروس وعبر

أولاً : الانقياد والتسليم لله رب العالمين .

ثانياً : تربية الضمير .

ثالثاً : تربية الإرادة وتقوية للعزيمة .

رابعاً : المساواة .

خامساً : مراغمة الشيطان .

سادساً : إظهار توحيد الله جل وعلا .

سابعاً : وحدة الأمة .

ثامناً : عظة الموت والحشر .

تاسعاً : الكون كله ملب وطائف .

الفصل الرابع
الحج دروس وعبر

رحلة الحج رحلة مليئة بالعبر ، محفوفة بالدروس ، مكتظة بالعظات ، وهي في عبرها ودروسها وعظاتها تمس القلب ، وتناجي الوجدان ، وتخاطب العاطفة ، وتحرك العقل ، ولن يحظ الحاج بعظيم الأجر إلا إذا أدرك هذه العبر ، وتعلم هذه الدروس ، وتأمل هذه العظات .

ومن هذه الدروس والعبر :

أولاً : الانقياد والتسليم لله رب العالمين :

وهذا أول درس يتعلمه الحاج من حجه ، فهو في نسكه من إحرامه إلى تحلله لا بد أن ينقاد لأوامر الله جل وعلا ، وهذا التسليم يظهر في نزول العبد على أوامر الله نزول الجندي لأوامر قائده في ميدان المعركة ، إنه يسلم نفسه لأوامر الله جل وعلا كما يسلم الميت نفسه لمغسله على خشبة الغسل ، بل أشد .

لذا فإن المسلم ينقاد للنسك وهو يعلم أن في هذا الانقياد صحة الاتباع وعلامة القبول ، ولله در عمر ﷺ يوم أن قال وهو يقبل الحجر : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك [١] .

(١) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٩٧) عن عمر .

ولهذا جاء أن علياً ﵁ عند الحجر الأسود كان يقول : اللهم إيماناً بك - لا بالحجر - وتصديقاً بكتابك - لا بالخرافة - ووفاء بعهدك - لا بعهد غيرك - واتباعاً لسنة نبيك ﷺ - لا سنة سواه .

إن المؤمن لن يكون مؤمناً حتى ينقاد لأوامر الله ، ويسلم لشرع الله ، وينزل على حكم الله ، وهذا شرط من شروط لا إله إلا الله ، وقد قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [النساء: ٦٥].

وجاء في سبب نزول هذه الآية : أن الزبير بن العوام ﵁ خاصم رجلا من الأنصار ؛ قد شهد بدرا مع النبي ﷺ إلى رسول الله في شراج في الحرة ، كانا يسقيان به كلاهما النخل ، فقال الأنصاري : سرح الماء يمر . فأبى عليه الزبير . فقال رسول الله ﷺ : اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك . فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول الله ثم قال : اسق يازبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، واستوفى رسول الله للزبير حقه ، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار برأي أراد فيه السعة للزبير وللأنصاري فلما أحفظ الأنصاري رسول الله استوعى للزبير حقه في صريح الحكم فقال الزبير : ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك (١).

وفي رواية عند ابن أبي حاتم: اختصم رجلان إلى رسول الله

---

(١) رواه البخاري في التفسير رقم (٤٥٨٥) ومسلم في الفضائل (٢٣٥٧) عن الزبير.

فقضى بينهما . فقال المقضى عليه : ردنا إلى عمر بن الخطاب . فقال رسول الله ﷺ : نعم انطلقا إليه فلما أتيا إليه فقال الرجل : يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله على هذا ، فقال : ردنا إلى عمر بن الخطاب، فردنا إليك، فقال : أكذلك؟ قال: نعم . فقال عمر ﷺ : مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما ، فخرج إليهما مشتملا على سيفه ، فضرب الذي قال : ردنا إلى عمر ، فقتله ، وأدبر الآخر فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي ، ولولا أني أعجزته لقتلني . فقال رسول الله ﷺ : ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن . فانزل الله ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ فهدر دم ذلك الرجل وبرئ عمر من قتله »(١).

وقال سبحانه : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وسبب نزول هذه الآية كما أورده ابن كثير عن أنس ﷺ قال : خطب النبي على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها . فقال : حتى أستأمر أمها . فقال النبي : فنعم إذن . قال : فانطلق الرجل إلى امرأته ، فذكر ذلك لها ، فقالت : لاها الله ! إذن ما وجد رسول الله إلا جليبيبا ، وقد منعناها من فلان وفلان ؟ قال : والجارية في سترها تسمع . قال : فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله بذلك . فقالت الجارية :

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج ١- ٥٢٢ .

أتريدون أن تردوا على رسول الله أمره ؟ إن كان قد رضيه لكم فانكحوه . قال : فكأنها جلت عن أبويها . وقالا : صدقت . فذهب أبوها إلى رسول الله فقال : إن كنت قد رضيته فقد رضيناه . قال : فإني قد رضيته . قال : فزوجها . ثم فزع أهل المدينة ، فركب جليبيب ، فوجدوه قد قتل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم . قال أنس رضي الله عنه فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت بالمدينة .

وروى ابن كثير في التفسير أيضا قال : قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ** ﴾ الآية . وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية – رضي الله عنها – فخطبها ، فقالت : لست بناكحته ! فقال رسول الله : بلى فانكحيه . قالت : يا رسول الله . أؤامر في نفسي ؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا** ﴾ .. الآية . قالت : قد رضيته لي يا رسول الله منكحا ؟ قال رسول الله : نعم ! قالت : إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي ! (١).

إن الانقياد والتسليم لشرع الله ليس من نافلة القول بل هو أصل العبادة ، وجوهر العبودية ، وهذا هو الفرق الجوهري بين المؤمن وغيره ، يقول الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله : إن المؤمن خرج من العبودية لنفسه وللمخلوقين إلى العبودية لربه ، خرج من طاعة هواه إلى طاعة الله . ليس المؤمن « سائباً » يفعل ما تهوى نفسه

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ج ٣ – ٤٩٠ .

أو يهوى له غيره من الخلق . إنما هو « ملتزم » بعهد يجب أن يفي به ، وميثاق يجب أن يحترمه ، ومنهج يجب أن يتبعه . وهذا التزام منطقي ناشئ من طبيعة عقد الإيمان ومقتضاه .

مقتضى عقد الإيمان : أن يسلم زمام حياته إلى الله ، ليقودها رسوله الصادق ، ويهديه الوحي المعصوم .

مقتضى عقد الإيمان : أن يقول الرب : أمرت ونهيت . ويقول العبد : سمعت وأطعت .

مقتضى عقد الإيمان : أن يخرج الإنسان من الخضوع لهواه إلى الخضوع لشرع مولاه(١).

هذا هو صنع المسلم في الحج: قال ربه: اترك أهلك. قال نعم .

قال له : غادر وطنك . قال : نعم .

قال له : اخلع ثوبك . قال : نعم .

قال له : طف بالبيت سبعا . قال : نعم .

قال له : اسع سبعاً . قال : نعم .

قال له : انحر هديك . قال : نعم .

قال له : احلق رأسك . قال : نعم .

وهذا هو قمة الخضوع والاستسلام لله رب العالمين .

ثانياً : تربية الضمير :

شعائر الإسلام تنشئ فيما تنشئ قلوباً حية ، وضمائر يقظة ، وأفئدة سليمة ، بل الإسلام كله أراد أن يكون المسلم كذلك ، مراقباً

---

(١) انظر : العبادة في الإسلام - د / يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة - ط الخامسة عشرة عام ١٩٨٥م / ٥٣ .

لله في السر والعلن ، في الظهور والخفاء ، في الجلوة والخلوة ، وحده وأمام الناس ، وإيمان العبد بالله عز وجل والتزامه بشعائره هو الذي يربي ذلك في نفسه ، لذا كان من كلام الله عز وجل قوله : ﴿ **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٣ ، ١٤]، وقال : ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [الزخرف : ٨٠]، وقال : ﴿ **عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [سبأ : ٣]، وقال : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق : ١٨].

بهذه الآيات أراد الله عز وجل أن تصل قلوب أهل الإيمان إلى الحياة ، وضمائرهم إلى اليقظة ، التي يصل فيها العبد وكأنه يرى الله، أو على الأقل فليعلم بأن الله يراه ، وهذا هو معنى حديث جبريل في الإحسان : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[(١)].

ولقد نشأت قلوب الصحابة وضمائرهم على هذا ولا أدل على ذلك من حديث ماعز والغامدية : عن بريدة ﷺ قال : « إن ماعز بن مالك أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت ، وإني أريد أن تطهرني ، فرده ، فلما كان من الغد أتاه ، فقال يا رسول الله : إني زنيت ، فرده الثانية ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه ، فقال : أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً ؟ فقالوا :

---

(١) رواه البخاري في الإيمان رقم (٥٠) ، و مسلم في الإيمان رقم (٩) عن أبي هريرة.

ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى ، فأتاه الثالثة فأرسل إليهم فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله ، فلما كانت الرابعة حفر له حفرة ثم أمر فرجم » (١) .

وهذه هي قصة المرأة الغامدية التي ضربت مثلاً رائعاً في يقظة الضمير ، وقد غابت عنها أعين الناس ، لكنها أدركت أن عين الله لا تنام ، بل وجاءت إلى النبي ﷺ ويردها حتى تضع حملها ، ثم يردها حتى تفطم رضيعها ومع طول فترة الحمل والتي تبلغ تسعة أشهر ، وطول مدة الرضاعة والتي تبلغ عامين كاملين ، فهذه مدة تزيد عن العامين ونصف ، وتقترب من ثلاثة أعوام ، لكنها مع هذا كله تعلن توبتها ، وتريد طهرها وطهارتها ، وأعلنت ذلك كله على الملأ من الناس ، حتى استحقت أن يقول فيها رسول الله : لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له(٢) . وفي رواية لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم(٣) .

وهذا نص الحديث كما رواه الإمام مسلم بسنده عن عمران بن الحصين قال : جاءت الغامدية(٤) فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني . وأنه ردها ، فلما كان الغد قالت : يا رسول الله لم تردني ؟ لعلك تردني كما رددت ماعزاً بالأمس ، إني لحبلى ، قال : أما لا ، فاذهبي حتى تلدي ، قال : فلما ولدت أتت بالصبي في خرقة قالت :

---

(١) رواه مسلم في الحدود رقم (١٦٩٥) عن بريدة .
(٢) رواه مسلم رقم (١٦٩٦) عن عمران بن حصين .
(٣) رواه مسلم في الحدود رقم (١٦٩٥) عن بريدة .
(٤) الغامدية : نسبة إلى غامد وهى بطن من جهينة وهى تنسب إليها .

هذا قد ولدته ، قال : فاذهبي فأرضعيه ، حتى تطعميه . فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت : هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام ، فدفع بالصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فاستقبلها خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها ، فسمع نبي الله سبه إياها ، فقال : مهلاً يا خالد : فوالذي نفسي بيده ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت[1] .

ومن العجيب ما كان لعمر في أحد أسفاره يقول عبد الله بن دنيا : فانحدر بنا راع من الجبل ، فقال له عمر : يا راعي بعني شاة من هذه الغنم .

فقال : إني مملوك .

فقال عمر : قل لسيدك أكلها الذئب .

فقال الراعي : فأين الله ؟

فبكى عمر ثم غدا مع المملوك ، فاشتراه من صاحبه ، وأعتقه ، وقال : أعتقتك هذه الكلمة في الدنيا ، وأرجو أن تعتقك في الآخرة .

وتأمل معي قصة عامر بن قيس يوم أن منّ الله على المؤمنين بفتح المدائن ، فجاء عامر بن قيس إلى صاحب الأقباض بحق فدفعه إليه فقال أصحابه : والله ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدل ما عندنا ولا يقاربه .

ثم قالوا له : أخذت منه شيئاً ؟

(١) رواه مسلم في الحدود رقم (١٦٩٥) عن بريدة.

فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به .

فقالوا : من أنت ؟

فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم ليقرظوني ، ولكن أحمد الله وأرضى بثوابه ، فاتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن قيس .

وفي الحج تظهر تربية الضمير وقد أشار الله الحق سبحانه إلى ذلك بقوله سبحانه : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ** ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

أرأيت أخي الحبيب : ﴿ **وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ** ﴾، وهب أن إنساناً وقع في شيء من ذلك ، فمن يراقبه ؟ ومن يحرسه؟ هل من شرطي يقف على رأسه ؟ أم هل من حارس يحوط به ؟ كلا إنها مراقبة داخلية ، مراقبة ذاتية ، إنها مراقبة الضمير .

ويظهر ذلك جلياً حين تتراآى المحظورات أمام عينيه ، فيكف عنها خوفاً من الله ، وطمعاً في رحمته ، ورجاء مغفرته ، وانتظار ثوابه .

وانظر إلى الحجيج وقد اختلط الرجال بالنساء في الطواف ، وقد تقترب الأبدان أو تلاصقت الأبدان ؛ ولكن يبقى الضمير الحي، والقلب اليقظ ، ليبعد عن الحاج وساوس الشيطان ، وحظوظ النفس الأمارة بالسوء .

ثالثاً : الحج تربية للإرادة وتقوية للعزيمة :

من أروع ما وصف به جند خالد بن الوليد ﷺ : « أنهم لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها » وهذه الكلمة تدل أول ما تدل على صلابة الإرادة وقوة العزيمة ، ولقد شاء الله سبحانه ، أن تكون رحلة الحج وسيلة بل من أعظم وسائل تربية الإرادة وقوة العزيمة لدى المسلم .

وكيف لا والحاج يغادر الوطن الذي ألفه ، والدار التي أحبها ، والقوم الذين عاشرهم ؟

وكيف لا وهو يغادر الوطن ، ويترك المال ، وينأى بعيداً عن الولد ؟

وكيف لا ورحلته لا تسلم من المخاطر ، حتى في قرننا الواحد والعشرين ؟ فقد تصدم السيارة ، أو تغرق الباخرة ، أو تسقط الطائرة، أو تحترق الخيام ، أو يختنق الحجيج في نفق ما ، أو يقع المُحرمون من شدة الزحام ، ومع هذا كله فإن الإرادة تقوى ، وإن العزيمة لتشتد .

ولقد شاء الله سبحانه أن يكون الحج إلى بلد ﴿ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فهي وإن حدث ما حدث فيها من خدمات رائعة لا تنكر، لا تصلح أن تكون مشتى ولا أن تكون مصيفاً، والدليل على ذلك شوارعها التي شقت في الجبال شقاً ، ودورها التي نحتت في الجبال نحتاً ، فأنت في غدوك ورواحك لا تلبث أن ترى نفسك في طريقك صاعداً أو هابطاً .

ومن حكم الله كذلك أن يربط الحج بالأشهر القمرية ليكون طوراً في الشتاء ، وطوراً في الصيف ، وهكذا تربى الإرادة وتقوى العزيمة .

وإذا علم هذا أدركنا أن الإسلام ليس دين استسلام ولا دعة ، ولا خمول ولا راحة، بل هو دين جهاد ، ومن هنا كان الحج جهاد في سبيل الله ، بل هو من أفضل الجهاد ؛ وفي الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قلت يا رسول الله : نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد ؟ فقال ﷺ : لكن أفضل الجهاد حج مبرور » (١).

رابعاً : المساواة :

لم تعالج فلسفة من الفلسفات قضية المساواة كما عالجها الإسلام ، ولم تكن هذه المعالجة معالجة مثالية نظرية ، لكنها كانت معالجة واقعية عملية ، ولقد عالج القرآن هذه القضية بكل صرامة وصراحة ، وقد أعلنت سورة الحجرات قانوناً من قوانين المساواة الراسخة الا وهو : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] . ولقد عوتب النبي ﷺ لمجرد أنه أهمل رجلاً أعمى ، وعمد إلى رجالات من عظماء قريش ، ولم يغن النبي ﷺ أن يكون ذلك لمصلحة الدعوة ، أو باسم الدين .

ولقد وعى النبي ﷺ هذا الدرس ومن يومها بدأ النبي ﷺ يمحو كل رابطة تقوى على رابطة الدين ، فرأيناه في مكة مؤاخياً بين عمه حمزة ومولاه زيد بن حارثة ، وبين عبد الله بن رواحة الخثعمي وبلال بن رباح الحبشي .

ويوم يشم النبي ﷺ من كلام أبي ذر تعالياً على أخيه بلال حين قال له : يا ابن السوداء ؛ هنا يغضب النبي ﷺ وتحمر عيناه ،

(١) سبق تخريجه.

وتنتفخ أوداجه ، ويرد أبا ذر إلى صوابه معنفاً إياه قائلاً له ﷺ : « أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية »(١).

ولا أعجب من اهتمامه ﷺ في غزوة من مغازيه بجليبيب وهو مولى فقير . فعن أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ كان في مغزى له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا نعم، فلانا، وفلانا، وفلانا، ثم قال : هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا: قال: لكني أفقد جليبيباً ، فاطلبوه ، فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قتلهم، ثم قتلوه! فأتى النبي ﷺ، فوقف عليه فقال: قتل سبعة ثم قتلوه! هذا مني، وأنا منه، هذا مني وأنا منه، قالها مرتين أو ثلاثا، ثم قال بذراعيه هكذا فبسطهما، قال: فوضعه على ساعديه، ليس له سرير إلا ساعدي النبي ﷺ قال: فحفر له ووضع في قبره، ولم يذكر غسلا (٢).

وفي الحج تظهر روعة المساواة ، حيث تساوت الرؤوس ، يوم أن حسرت الرؤوس ، وجردت الأبدان ، إلا من إزار ورداء ، ظهر عليهما البياض ، فتلفت يمنة ويسرة ، فلا تميز وزيراً ولا أميراً ، ولا ملكاً ولا رئيساً ، الكل سواء الوزير كالخفير ، والغني كالفقير ، وتنظر بأم عينيك في الطواف والسعي لترى أميراً بجوار خفير ، وغنياً بجوار فقير، وعالماً بجوار أمي جاهل ، وسيداً ملاصقاً لخادم عامل . من بكر في الطواف قبل الحجر ، ومن تأخر كان عليه تأخيره ، فليست هناك

(١) رواه ابن المبارك . وقال الألباني في غاية المرام صحيح رقم (٣٠٧) .
(٢) رواه مسلم في الفضائل رقم (٢٤٧٢) عن أبي برزة.

ساعة مخصوصة يطوف فيها علية القوم ، أو يوماً مخصوصاً يطوف فيه الملأ الأعلى من الناس ، أو مدة معينة يقف بها الأثرياء بعرفة .

كلا إنه يوم واحد يقف فيه الناس كلهم .

وساعة واحدة يفيض الناس فيها من عرفات .

ومشعر واحد يذكر الناس ربهم عنده .

وجمرات محدودة يرميها الناس .

ومكان واحد يرمي الناس حصاتهم فيه .

لقد تساوى الناس كلهم في زيهم وأعمالهم ، في طوافهم وسعيهم ، في حركاتهم وأقوالهم ، لم تفرقهم أجناسهم ، ولم تميزهم أعراقهم ، ولم تفضلهم أنسابهم ، ولم تقدمهم أحسابهم ، ولم يرفعهم سلطانهم ؛ ومن هنا فقد انتهز النبي ﷺ فرصة تجمع أصحابه في حجة الوداع فأعلنها صريحة مدوية ليسمع الحاضر ، ويبلغ الشاهد الغائب ، فقال ﷺ كما عند أحمد في مسنده : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى . أبلغت ؟ قالوا : بلغ رسول الله ﷺ » .

خامساً : مراغمة الشيطان :

منذ أن خلق الله الخلق – أعني آدم عليه السلام، منذ هذه اللحظة وإبليس يتربص به كل التربص ، وأدار إبليس المعركة بصورة قتالية بكل مقاييس الحرب ، وبكل ما تعينه كلمة « حرب » قديماً وحديثاً من معان ، وهذه صورة قتالية تمثل المعركة من جنود لهم حزب وللحزب قائد ، وللقائد كل الولاء ، ولهم خطة ، وبالخطة هجوم وتسلل

واغتيال وأسر وشراك وعمليات انتحارية ، وهذه هي الصورة [1] بشيء من التفصيل بأدلتها الثابتة بالكتاب والسنة :

١ - **الجنود** : الشياطين هم جنود إبليس سواء كانوا من الجن أو من الإنس ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ** ﴾ [الشعراء: ٩٤، ٩٥].

٢ - **الولاء** : وهو العلاقة بين إبليس وجنوده وهي علاقة ولاء وطاعة وهما أول الضرورات التنظيمية قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ** ﴾ [النساء: ٧٦].

٣ - **الحزب** : وعند ما يكون الولاء من جنود لقائد يتكون الحزب ﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المجادلة: ١٩].

٤ - **السرايا** : وحين تتجمع الجنود ، ويتم الولاء ، ويكون الحزب ، يكون إرسال السرايا وفي الحديث قال ﷺ « إن لإبليس كرسياً فوق الماء يبعث سراياه فيفتنون الناس ، فأعظمهم مكانة أعظمهم فتنة » [2].

٥ - **أدوات الحرب ومنها** :

أ - **الخيل** : ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ** ﴾ [الإسراء: ٦٤].

---

(١) انظر : كتاب عندما ترعى الذئاب الغنم/ أ / رفاعى سرور ص ١١-٢١ باختصار .

(٢) رواه مسلم في صفات المنافقين رقم (٢٨١٣) عن جابر .

ب - السهام : جاء في الحديث «النظرة سهم من سهام إبليس»(١) .

ج - الراية : وهي من تقاليد الحروب فلكل فئة راية تقاتل تحتها وفي مسند أحمد : «ما من خارج يخرج من بيته إلا ببابه رايتان : راية بيد ملك ، وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يحبه الله عز وجل اتبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ، وإن خرج لما يسخط الله أتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته » وقال : «من غدا إلى صلاة الصبح غدا براية الإيمان ، ومن غدا إلى السوق غدا براية إبليس»(٢) .

٦ - رفع الراية في موقع الاحتلال كما تكون في موقع الانتصار: وفي الحديث قال ﷺ : « لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها ، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته » (٣) فدل ذلك على أن السوق موضع احتلال للشيطان .

٧ - العنف والشدة في هذه الحرب: قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم : ٨٣] والأز الحركة العنيفة للماء عند الغليان .

---

(١) رواه الحاكم (٤ / ٣١٣) وقال صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله : إسحاق واه، وعبد الرحمن هو الواسطي ضعفوه، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (١٠٦٥) .

(٢) رواه ابن ماجه في التجارات (٢٢٣٤) . وذكره الألباني في ضعيف ابن ماجه رقم (٤٨٣) .

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة رقم (٢٤٥١) عن سلمان .

٨ - الحصار حول الفريسة : قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٦، ١٧] .

٩ - الشراك : وهي الحيل والشباك التي يوقع فيها بني آدم ومن أدعية الرسول ﷺ : « أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه »(١) .

١٠ - البحث عن أي ثغرة في أي مكان ، حتى ولو كان ذلك في السماء لكنهم لا يجدون إلى ذلك سبيلاً قال تعالى :

﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً** ﴾ [الجن : ٨، ٩] .

١١ - الأسلوب الفدائي أو العمليات الانتحارية : وهي عملية معروفة النتيجة دائماً وهو الموت ، ويصف النبي ﷺ هذه الحالة بالنسبة لهم قائلاً : « ومسترقو السمع هكذا واحد فوق الآخر - ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمى بها إلى الذي يليه »(٢) .

١٢ - الأسر : كما في كل حرب ويكون من الطرفين وفى

---

(١) رواه أحمد (٥١ ، ٥٢) عن أبي بكر ، وقال محققو المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه أبو داود، وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم (٤٢٣٥) .

(٢) رواه البخاري في التفسير رقم (٤٧٠١) عن أبي هريرة .

حديث النسائي وغيره : أن رسول الله ﷺ صلى صلاة مكتوبة ، فضم يده ، فلما صلى قالوا : يا رسول الله أحدث في الصلاة شئ ؟ فقال : لا إلا أن الشيطان أراد أن يمر بين يدي ، فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي .... » .

وقد قال النبي ﷺ لأبى هريرة عندما أتاه الشيطان وهو يحرس بيت المال يقول أبو هريرة : وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت ، فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ . قال : دعني فإني محتاج وعلى عيال ولي حاجة شديدة . قال : فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال رسول الله : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ .... إلى أن قال ﷺ : أما إنه صدقك وهو كذوب ؛ تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قلت : لا – قال : ذاك الشيطان(١).

ومن ذلك أسرهم في شهر رمضان من قبل الله سبحانه وفى الحديث « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جنهم ، وسلسلت الشياطين »(٢) .

وكما يقع الأسر علي الشياطين ، يقع كذلك على الإنس ، وفي الحديث « قالت عائشة – رضي الله عنها – حدث رسول الله ﷺ نساء ذات ليلة حديثا ، فقالت امرأة منهن : يا رسول الله كان الحديث حديث خرافة ، فقال : أتدرون ما خرافة ؟ إن خرافة كان رجلا من

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن رقم (٥٠١٠) عن أبي هريرة.
(٢) رواه البخاري في بدء الخلق رقم (٣٢٧٧) ومسلم في الصيام رقم (١٠٧٩) عن أبي هريرة .

عذرة [1] أسرته الجن في الجاهلية فمكث دهرا طويلا ثم ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى من الأعاجيب ، فقال الناس: حديث خرافة »[2] .

١٣ - السحق الشامل : أي الإبادة الكاملة وفي الحديث القدسي قال تعالى : « إني خلقت عبادي كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم »[3] وذلك أنه قال منذ البداية : ﴿ **لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٦٢] .

١٤ - الاغتيال : وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من الاغتيال فيقول : « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني و دنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وآمن روعاتي ؛ اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي »[4] .

١٥ - الحصون : وفي هذه الحرب حصون يلجأ إليها الجنود من كلا الطرفين حماية لأنفسهم وفي الحديث « إن الله أمر يحيي بن زكريا بخمس كلمات. . . وفيها وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك

---

(١) قبيلة من العرب .

(٢) رواه أحمد (٢٥٢٤٤) عن عائشة، وقال محققو المسند : إسناده ضعيف، ورواه الترمذي في الشمائل (٢٥٠) والبزار في الزوائد (٢٤٧٥)، وأبو يعلى (٤٤٤٢) ، وذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم (١٠٠) .

(٣) رواه مسلم في الجنة ونعيمها رقم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار .

(٤) رواه أحمد (٤٧٨٥) عن ابن عمر ، وقال محققو المسند : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، ورواه ابن ماجه (٣٨٧١) والنسائي في المجتبى (٨/ ٢٨٢) وأبو داود (٥٠٧٤) والحاكم (١ / ٥١٧) ، وذكره الألباني في صحيح أبي داود رقم (٤٢٣٩) .

كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن فأحرز نفسه منهم ... كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله »(١) .

١٦- الجوار: وهو ما يعني الحماية أيضا من ضراوة تلك الحرب، قال أبو الدرداء : « ألم يكن فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ ؟ يعني عمار بن ياسر »(٢) .

نتيجة المعركة :

بعد تحديد الصورة القتالية للحرب بيننا وبين الشيطان يحسن أن نري النتيجة النهائية لتلك الحرب ، لنري خسائر البشر فيها من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون ، أي نسبة ١ : ٩٩٩ ؛ ودليل ذلك ما جاء في الحديث : « يقول الله لآدم يوم القيامة يا آدم : ابعث بعث النار . فيقول آدم : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة »(٣) .

وإذا كانت هذه هي العلاقة وتلك هي النتيجة ، فإن الحج وخصوصاً يوم عرفة يوم لمراغمة الشيطان ، وكسر أنفه ، وإضاعة عمله، ولهذا قال ﷺ : « ما رؤي الشيطان يوماً فيه أصغر ، ولا أدحر،

---

(١) رواه الترمذي في الأمثال (٢٨٦٣) عن الحارث الأشعري، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (٥٥٢) .
(٢) رواه البخاري في بدء الخلق رقم (٣٢٨٧) عن أبي الدرداء .
(٣) رواه البخاري في الرقاق رقم (٦٥٣٠) ، ومسلم في الإيمان رقم (٢٢٢) عن أبي سعيد .

ولا أحقر ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، لما يرى فيه من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام »[١].

وإن رمي الجمار هو رمي للهوى وانتصار على الشيطان ، وإعلان العبد عبوديته لربه ، وتنفيذاً لأوامر الله ، وهذه مراغمة للشيطان وانتصار عليه .

سادساً : إظهار توحيد الله جل وعلا :

توحيد الله سبحانه من أسمى عقائد الإسلام ، وما قامت السماوات والأرض إلا من أجل كلمة التوحيد ، وشعائر الإسلام كلها ما كانت إلا لترسخ التوحيد في نفوس الناس ، والمتامل في شعيرة الحج يرى اهتمام النبي ﷺ البالغ لإظهار التوحيد والاهتمام به ، وانظر إليه في نيته وهو يقول : « اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة »[٢].

وانظر إليه في تلبيته وهو يقول : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك »[٣].

وانظر إليه ﷺ وهو يصلي ركعتي الطواف فيصليهما ويقرأ بسورتي الكافرون والإخلاص[٤].

قال ابن القيم في تعليل قراءة النبي ﷺ بالسورتين في ركعتي الطواف وغيرهما : لأنهما - سورتا الإخلاص والكافرون -كان يفتح

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٩٤٤) عن عبيد الله بن كريز ، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب رقم (٧٣٩) .

(٢) رواه ابن ماجه في الحج (٢٨٩٠) عن أنس . وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٢٣٥٥) .

(٣) رواه البخاري في اللباس رقم (٥٩١٥) ، ومسلم في الحج رقم (١١٨٤) عن ابن عمر .

(٤) رواه مسلم في الحج (١٢١٨) عن جابر .

بهما عمل النهار ويختمه بهما ، ويقرأ بهما في الحج الذي هو شعار التوحيد(١).

وانظر لما قدم مكة في فتح مكة أبى أن يدخل الكعبة وفيها آلهة القوم ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما فأمر بها - الآلهة - فأخرجت ، قال : فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل وفي أيديهما الأزلام ، فقال ﷺ : قاتلهم الله ! والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بهما قط(٢).

وفي حجة أبي بكر في العام التاسع أرسل ﷺ علياً ليؤذن في الناس : «ألا يطوف بالبيت مشرك ، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فهو لمدته ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»(٣).

وانظر إليه ﷺ وهو يعتلي الصفا متوجهاً إلى الكعبة قائلاً : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده (٤).

وانظر إليه وهو يقف بعرفه ليعلن في يوم من خير أيام الدنيا كما في مسند أحمد بأن « خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ».

إن نبي التوحيد يعلن التوحيد في بلد التوحيد داخل بقعة

---

(١) زاد المعاد / ج١ / ص ٣٠٨ .
(٢) رواه البخاري في الحج رقم (١٦٠١) عن ابن عباس.
(٣) رواه البخاري في الحج رقم (١٦٦٢) ومسلم في الحج رقم (١٣٤٧) عن أبي هريرة.
(٤) رواه مسلم في الحج رقم (١٢١٨) عن جابر .

التوحيد ، ومنها انتشر التوحيد في الأرض ، ولكن الأمة الآن تحاول العودة إلى الوراء . فالله الله في التوحيد يا أمة التوحيد .

سابعاً : وحدة الأمة :

لقد شاء الله سبحانه أن تكون هذه الأمة أمة واحدة ، لا أمماً متفرقة ، ودولة جامعة لا دويلات متمزقة ، وكياناً متماسكاً لا كيانات متناثرة ، والقرآن يؤكد ذلك قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء : ٩٢]، وقال : ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾ [المؤمنون : ٥٢] .

والكفر في مشارق الأرض ومغاربها منذ القدم يجمع نفسه لاستئصال شأفة الإيمان، والباطل في أي زمن يجمع قواه لإزالة الحق ، ولقد حذر الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان من تجمع الكفر وتفرقهم وجعل الله ذلك التفرق فتنة عظيمة وفساداً كبيراً ؛ قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال : ٧٣] .

والواقع يؤكد تعاون اليهودية العالمية ، والصليبية الغربية، والشيوعية الدولية ، والوثنية الشرقية على قصعة الأمة الإسلامية .

ويأتي الحج ليظهر هذه الوحدة في كل عام ، إنها وحدة في كل شيء .

وحدة في الزي : فلكل إزار ورداء .

وحدة في الوجهة : فالوجهة مكة .

وحدة في القبلة : فالقبلة البيت الحرام .

وحدة في الرب : فالرب واحد أحد .

وحدة في القول : فالقول واحد : لبيك اللهم لبيك ....

وحدة في الطواف : فالكل يطوف حول الكعبة جاعلاً الكعبة على يساره مبتدئا بالحجر الأسود .

وحدة في السعي : فالكل يبدأ من الصفا ولا ينتهي إلا بالمروة .

وحدة في عرفة : فلا يقفون بغيره ، ولا يفيضون قبل المغرب .

وحدة في مزدلفة : فلا يبيتون بغيرها .

وانظر إلى هذا المشهد الرائع في عرفة ، وانظر يمنة أو يسرة ، هل ترى إلا ثياباً بيضاً قد علت الأبدان ، وارجع البصر كرتين فلن ترى إلا وفوداً أقبلت من مشارق الأرض ومغاربها ، والتقت في صحراء عرفة، في ثياب رثة ، لا تصلح لخيلاء ، ولا تنفع لكبر ، لا تعين على تعال، ولا تحمي من برد ، ولا تقي من حر ، إنها ثياب لا موضع فيها لزينة، ولا صلاح فيها لكبرياء ، قد علا أصحابها الشعث ، وغبر مرتديها التراب ، حتى أمسوا شعثاً غبراً .

واعد البصر كرتين لترى ببصرك وتلحظ ببصيرتك أصواتاً علت، ونداءات ارتفعت ، تعالت الصيحات بالدعاء ، وانشقت الحناجر بالهتاف ، لكنه هتاف لا لبشر ولا لحجر ، لا لزعيم ولا لأمير ، لا لملك ولا لسلطان ، إنما الهتاف فيها للواحد القهار .

نشيدهم العذب : لبيك اللهم لبيك .....

وحلو كلامهم : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

وجميل منطقهم : ربنا هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

وعذب حديثهم : لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين .

وعالي صوتهم : لبيك حقاً حقاً ، تعبداً ورقاً .

وزفير أنفاسهم : رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم .

وحشرجة صدورهم : اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة .

ونبضات قلوبهم : اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

وتقلب أبصارهم : ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار .

إنها أمواج متلاطمة من البشر ، ألوف مؤلفة ، لا بل ملايين مملينة ، اختلفت ألوانهم وتناءت ديارهم ، واختلفت ألسنتهم ، وتعددت لغاتهم ، عرب وعجم ، هنود وزنوج، سود وبيض ، حمر وصفر ، رجال ونساء ، صغار وكبار، ولكن جمعهم شيء واحد هو وحدة الغاية ووحدة المقصد ، فالغاية الله ، والمقصد الله .

نعم لقد أكد النبي ﷺ على وحدة أمته وحذر من الفرقة ولقد بدا ذلك واضحاً في حجة الوداع ، وكانت أقواله ﷺ محرضة على ذلك لذا قال ﷺ : « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم »[1] .

---

(١) رواه مسلم في صفات المنافقين (٢٨١٢) عن جابر .

وعند أحمد في المسند : « يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد »[1].

ثامناً : عظة الموت والحشر :

ومن أعظم عظات الحج عظة الموت والحشر ، وكيف لا والحالة شبيهة بالأخرى.

في الحج : تجرد من ثياب ، وفي الموت : تجرد من ثياب .

في الحج : أثواب معدودة ، وفي الموت : أثواب معدودة.

في الحج : ثياب بيضاء ، وفي الموت : أكفان بيضاء .

في الحج : سفر طويل ، وفي الموت : سفر أطول .

في الحج : شدة وتعب ، وفي الموت : شدة لا توصف وتعب لا يقدر .

في الحج : مفارقة للأوطان ، وفي الموت : مفارقة للدنيا .

في الحج : مفارقة للأهل والأولاد ، وفي الموت : مفارقة للخلائق .

في الحج : إقبال على الله ، وفي الموت : عود إلى الله .

أبعد هذا كله لا ترى **أخي الحبيب** تذكرة بليغة بالموت ، ذاك الذي غفل عنه الناس ، على الرغم من أنه أقرب إلى كل مخلوق من شراك نعله ، فهل أخذنا من الحج وصورته عظة للموت وعبرة له ، ولله در القائل :

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٣٢٨٩) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وقال محققو المسند : إسناده صحيح ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٦٤) .

أيا من يدع الفهم
إلى كم يا أخي الوهم
تعب الذنب والذنب
وتخطي الخطأ الجم
أما بان لك العيب ؟
أما أنذرك الشيب ؟
وما في نصحه ريب
أما أسمعك الصوت ؟
أما نادى بك الموت ؟
أما تخشى من الفوت ؟
فتحطاط وتهتم
فكم تسير في اللهو
وتختال من الزهو
كأني بك تنحط
إلى اللحد وتنغط
وقد أسلمك الرهط
إلى أضيق من سم
هناك الجسم ممدود
ليستأكله الدود
إلى أن ينحر العود
فيمسي العظم قد رم

فـــزود نفـــسك الخـــيـــر
ودع مـــا يعـــقب الضـــيـــر
وهـيـــأ مـــركب الســـيـــر
وخف من لجـــة اليـــم
بذا أوصـــيك يـا صـــاح
وقـــد بحـــتك من بـــاح
فطـوبى لـفـــتـــى راح
بآداب محـــمـــد يأتـــم

وكما أن الحج يذكر بالموت فهو يذكر بيوم الحشر الأعظم .

ففي الحج : تجرد الناس من الثياب إلا القليل ، وفي الحشر : تجرد الناس من جميع ثيابهم .

في الحج : تجمع الناس من كل حدب وصوب ، وفي الحشر : تجمع الأولون والآخرون .

في الحج : الوجهة والمقصد للواحد الديان ، وفي الحشر : القدوم على الواحد القهار .

في الحج : أمواج متلاطمة من البشر ، وفي الحشر : أمواج متلاطمة كأنها جراد منتشر .

فاذكر ذلك أخي الحبيب ، وتذكر شدة الموقف ، وهول المحشر ، واستعد له قبل مجيئه ، ولله در القائل :

مثل لقلبك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت[1] ... حتى على رؤوس العباد تفور

(١) أي ازدادت ضعفا .

وإذا الجبال تعلقت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت وتقول للأملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا وعجائبا قد أحضرت وأمور
وإذا الجنين بأمه متعلق خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم على الذنوب دهور؟
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها لها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت لفتى على طول البلاء صبور(١)

وأخيراً أخي الحبيب : فانت على سفر ، سفر طويل ، فاغتنم الفرصة قبل الندم ، ورحم الله أبا الدرداء حين قال لأصحابه يوماً : أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد ؟

قالوا : بلى . قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسفرون .

قالوا : دلنا على زاده . فقال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور .

وهذا ما عناه الشاعر بقوله :

قدم لنفسك خيراً وأنت مالك مالك
قبل أن تصبح فرداً ولون حالك حالك
ولست والله تدري أي المسالك سالك

(١) بستان الواعظين -ابن الجوزي - ج ١ دار الكتاب العربي - ص ٦٤ .

إما لجنـة عدن   أو في المهالك هالك

تاسعاً : الكون كله ملب وطائف :

إن المؤمن يدرك جيداً أن القرآن هو كتاب الله المسطور ، كما أنه كتابه المقروء، ولا يغفل المؤمن كذلك عن كتاب الله المنظور وهو الكون ، وكلا الكتابين لا تعارض بينهما ، فكلاهما من الله تعالى .

وكما أن الكون كتاب الله فهو كذلك خلق من خلق الله ، أبدع الله فيه وأجمل ، وتجلت فيه القدرة خلقاً وإبداعاً وزينة وجمالاً .

وإذا كان الكون خلق من خلق الله فلا بد وأن يكون عابداً لربه، مقراً له بربوبيته ، شاهداً له بوحدانيته وألوهيته ، خاشعاً لعظمته ، ساجداً لجلاله وحكمته .

إنه مخلوق ساجد : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ** ﴾ [الحج : ١٨] .

ومخلوق مسبح : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ [الإسراء : ٤٤]

و رافض للشرك : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً** ﴾ [مريم : ٨٨ – ٩٢] .

وشعيرة الحج تظهر لنا عبادة الكون كله مع المسلم ، وتبدأ

عبودية الكون بهذه الشعيرة منذ أن أمر الله الخليل إبراهيم عليه السلام بالأذان في الناس بالحج : ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً** ﴾ [الحج : ٢٧]

قال القرطبي : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء الكعبة وقيل له : أذن في الناس بالحج . قال : يارب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلي الإبلاغ . فصعد إبراهيم خليل الله جبل أبي قبيس وصاح : يا أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة، ويجيركم من عذاب النار فحجوا ، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبيك اللهم لبيك . فمن أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة؛ إن أجاب مرة فمرة ، وإن أجاب مرتين فمرتين . وجرت التلبية على ذلك ، قاله ابن عباس وابن جبير .

وروي عن أبي الطفيل قال : قال لي ابن عباس : أتدري ما كان أصل التلبية ؟ قلت : لا ، قال : لما أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج خفضت الجبال رءوسها ورفعت له القرى ؛ فنادى في الناس بالحج فأجابه كل شيء لبيك اللهم لبيك(١) .

وحين يلبي المسلم فإنه ليس وحده الملبي بل الكون كله من حوله يلبي مثلما لبى المسلم الموحد ، وفي الحديث قال ﷺ : « ما من ملب يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من شجر وحجر ؛ حتى تنقطع الأرض هنا وهنا يعني عن يمينه وشماله »(٢) .

---

(١) أحكام القرآن - القرطبي - ج ١٢ - ٣٨ .

(٢) رواه ابن ماجه في المناسك (٢٩٢١) عن ابن عباس، والطبراني في الكبير (٦/ ١٣٠) وفي الأوسط (١/ ٨٧) وذكره الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٣٨٠).

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أن موسى عليه السلام حج البيت على جمل أحمر عليه عباءة قطوانية وهو يلبي وتجاوبه جبال الروحاء .

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : أذن يعني إبراهيم عليه السلام فأجابه كل رطب ويابس وجبل ، وأهل الأرض وأهل السماء : لبيك اللهم لبيك .

وفي طواف المسلم حول الكعبة فليس وحده أيضاً من يطوف ، إنه يتعبد لله عز وجل بعبادة سبقه فيها خلق كثير من خلق الله ، ولئن كان المسلم يتوجه إلى الكعبة في كل يوم خمس مرات منجذباً إليها قلبه ، فإنه في طوافه يأتي وقد هوى فؤاده إلى بيت الله كما دعا الخليل عليه السلام .

وهنا يظهر الكون كله عبادة الطواف ، فهو وإن طاف بالبيت الحرام ، فقد طافت الملائكة بالبيت المعمور ، كما تعلمت الخلائق كلها هذه السنة . يقول الدكتور الغمراوي رحمه الله : أول ما يلقى الناظر من تلك النظائر يلقاه في المجموعة الشمسية ، فالأقمار فيها تدور - أو تطوف - حول كواكبها ، فالقمر يدور حول الأرض ، وأقمار المشترى تدور حول المشترى ، والأرض وأخواتها من السيارات تدور وأقمارها حول الشمس دوراناً متصلاً ، يختلف حقاً باختلاف كتلة السيار وبعده عن الشمس ، لكن مهما يكن الاختلاف في الكيف والمدار فالدوران أو الطواف حول الشمس واقع مع كل سيار .

وقد بين علم الفلك الحديث مبلغ انتشار ظاهرة الطواف هذه بين الكواكب فرادى وجماعات وعوالم ، فكم من كوكب يطوف

حول كوكب ، توائم وغير توائم وعالم المجرة الذي منه مجموعتنا الشمسية يدور .

وإذا ما تركنا العالم الفلكي جانباً ونزلنا إلى العالم الذري ، وجدنا الأمر أعجب وأغرب .

والعلماء يشبهون الذرة بالمجموعة الشمسية ، فهي جلها فراغ تتوسطه نقطة يتمركز فيها ثقل الذرة تسمى نواة الذرة ، ويدور حولها في ذلك الفراغ العظيم بالنسبة لها عدد من الكهيربات أخف كثيراً من النواة ، كل كهيرب وحدة من الكهربية السالبة الخاصة، ولكنها في مجموعها تكافئ بالضبط ما تحمل النواة من كهربية موجبة ، أي أن كل نواة في ذرة عنصر تحمل من الوحدات الكهربية الموجبة قدر عدد الكهيربات التي حولها .

والآن ما رأيك في انتشار ظاهرة الطواف هكذا في الفطرة من الذرة إلى المجرة وما فوقها ؟

تذكر أن كل ذرة من مادة في الكون فيها طائف ومطوف به ، وأن ذلك كله في باطن الذرة تقوم عليه بنيتها وذاتيتها ، ولا سلطان لمخلوق عليه كما لا سلطان لمخلوق على دوران الأقمار حول كواكبها ، ولا السيارات حول شموسها في الكون العظيم الشاسع.

ثم تذكر أن في كل حالة من تلك الحالات في العوالم الذرية والفلكية المطوف به دائماً واحد ، والطائف كثيراً ما يتعدد ، ففي كل ذرة نواة واحدة تطوف بها الكهيربات ؛ قلت أو كثرت ، وفي كل مجموعة شمسية شمس واحدة تطوف بها سيارتها ؛ قلت أو كثرت كذلك .

والعالم المجري بملايين شموسه وكواكبه يدور أو يطوف حول شيء واحد في الكون كله بالألوف المؤلفة من عوالمه المجرية ، يبدو أنه يدور أو يطوف حول شيء واحد لا يدري ما هو ، وتوحد المطوف به في كل حالة مع تعدد الطائفين في الكثرة الغالبة من الأحوال يريك وجه الشبه واضحاً بين الطواف الذي هو من قوام الحج وبين ظاهرة الطواف التي فطر الله عليها الكون . ويفتح أو أرجو أن يفتح ، لك باباً واسعاً من التدبر وأفقاً شاسعاً من التفكير في حكمة الطواف ، ودلالة انفراد الإسلام به من بين الأديان(١) .

* * *

(١) انظر : الإسلام في عصر العلم / محمد أحمد الغمراوي / ط دار الإنسان / ط. الرابعة عام ١٩٩١ م / ص ٦٨ - ٧٠ بتصرف .

الفصل الخامس
وماذا بعد الحج ؟

افرح ولا تعجب .

استمرارك في العمل دليل على قبول حجك .

ادع ربك قبول حجك والزم الاستغفار .

اتق الله حيثما كنت .

وأخيراً .

الفصل الخامس

وماذا بعد الحج ؟

سؤال يحتاج إليه كل حاج ، وماذا بعد الحج ؟

ماذا بعد هذه الرحلة الفريدة ؟

وماذا بعد هذا السفر المقدس ؟

ماذا بعد هذه السياحة في ملك الله ؟ وفي بلد الله ؟ وفي بيت الله ؟

أخي الحاج : لا بد لك بعد انتهاء هذه الرحلة الإيمانية أن تقف مع نفسك وقفة محاسبة ، تراجع فيها نفسك ، وتنقب فيها عن تقصيرك ، انظر إلى ما قدمت :

هل أديت الحج كما أراد ربك ؟

هل نسكت نسكك كما فعل نبيك ﷺ ؟

هل جئت بالأركان والواجبات ؟

هل فعلت السنن والمستحبات ؟

هل تركت المحرمات والمكروهات ؟

أم تراك وقعت فيما قد نُهيت عنه ، وتركت ما أُمرت به ؟

أخي الحبيب : أما إن كنت قد قصرت ، فإن باب التوبة مفتوح، ودعاء المضطر لا يرد ، فادع الله أن يجبر لك تقصيرك ، ويغفر لك تفريطك ، وإياك أن تظن أن تقصيرك لا يغتفر ، فمهما عظم ذنبك فعفو ربك أعظم ، وقد أحسن القائل :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت أن عفوك أعظم

واعلم أخي الحاج أن اتهام النفس بالتقصير من آداب الصالحين، وشيم المخلصين، وديدن العابدين، ألم تسمع إلى ما قالته أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٦٠]؛ قالت: هو الذي يسرق و يزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله؟ فقال لها النبي ﷺ: «لا يا بنت أبي بكر، لا يا ابنة الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل: ﴿ **أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٦١] (١).

إنه الخوف من عدم القبول، والحذر من الطاعة، والرجاء في عفو الله، والطمع في قبول الحسنة، وقد قال بعض العارفين: متى رضيت نفسك وعملك لله، فاعلم أنه غير راض عنك، ومن عرف أن نفسه مأوى كل عيب وشر، وعمله عرضة لكل آفة ونقص، كيف يرضى لله نفسه وعمله؟

افرح ولا تعجب:

اعلم أخي الحبيب: أن الفرح ليس ذنباً وأن السرور بإتمام الطاعة ليس عيباً، فافرح وأدخل السرور إلى قلبك، واعلم بأن الفرح نوعان:

الأول: فرح محمود: وهو الفرح بطاعة الله عز وجل قال

---

(١) رواه أحمد (٢٥٢٦٣) وقال محققو المسند: إسناده ضعيف، ورواه الحميدي (٢٧٥) والترمذي (٣١٧٥) والحاكم (٢/ ٣٩٣).

تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

الثاني : فرح مذموم : وهو ما كان لغير طاعة الله ، وكل فرح في غير طاعة فرح مذموم ، وقد قال تعالى : ﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ [غافر: ٧٥] إنه فرح الشهوة المحرمة ، فرح اللذة المزلة ، وقد قال تعالى لقارون على لسان موسى عليه السلام : ﴿ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]، وقال سبحانه : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومع هذا الفرح إياك والعجب ، فإنه داء مهلك ، ومرض عضال وقد حذر النبي ﷺ منه فقال : « ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ؛ فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »[١].

يقول ابن عطاء الله : لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك ؛ وافرح بها لأنها برزت من الله إليك [٢].

ويقول : كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك[٣].

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦ / ٤٧) عن أنس. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٨٠٢) .
(٢) الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ص٢٢ .
(٣) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ص ٥٨ .

نعم أخي الحبيب : إياك أن يدخل العجب إلى قلبك بعد هذه الطاعة العظيمة فتهلك طاعتك ، ويضيع ثوابك ، وتبطل حجتك .

وإذا كان الرياء من آفات العمل قبل إتيانه ، فإن العُجب من آفات العمل بعد تمامه، وقد حكي أن رجلاً صالحاً حضرته المنية فبكى، فقال جلساؤه لم تبكي وقد فعلت كذا وكذا ، فقال لهم : وما يدريني أن شيئاً من هذا قد قبل ؟ والله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٧] .

وما أروع ما قاله ابن القيم في هذا المقام : ما أقرب المدل [١] من مقت الله ، فذنب تدل به لديه ، أحب إلى الله من طاعة تدل بها عليه .

وإنك أن تبيت نائماً وتصبح نادماً ، خير من أن تبيت قائماً وتصبح معجباً ، فإن المعجب لا يصعد له عمل .

وإنك أن تضحك وأنت معترف ، خير من أن تبكي وأنت مدل . وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين[٢] .

وقد روي عن علي ﷺ أنه قال : سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك .

ولهذا قال ابن القيم موضحاً نفع الذنب للعبد من طاعة يعقبها عجب قال :

والذنب قد يكون أنفع للعبد إذا اقترنت به التوبة من كثير من الطاعات ، وهذا معنى قول بعض السلف : قد يعمل العبد الذنب

---

(١) المنان بعمله .
(٢) انظر : تهذيب مدارج السالكين / ص ١٢٠ .

فيدخل به الجنة ، ويعمل الطاعة فيدخل بها النار ، قيل وكيف ذلك ؟ قال : يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه ، إن قام ، وإن قعد ، وإن مشي ، ذكر ذنبه فيحدث له انكساراً ، وتوبة ، واستغفاراً ، وندماً ، فيكون ذلك سبب نجاته ، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه إن قام، وإن قعد ، وإن مشي ، كلما ذكرها أورثته عجباً ، وكبراً ، ومنة ، فتكون سبب هلاكه (١) .

وقد لخص ذلك ابن عطاء الله السكندري في حكمه فقال :

ربما فتح الله لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول .

وربما قضى عليك بالذنب ، فكان سبباً في الوصول .

معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً .

وهذا ما جعل الصديق يقول : والله لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدماي في الجنة .

وجعل عمر حين دخل بستاناً فسمعه أنس يقول : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، بخ لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك .

ولله در أبي نواس حين قال :

إلهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك ... والليل لما أن حلك
والسابحات في الفلك ... على مجار المنسلك

(١) انظر : تهذيب مدارج السالكين / ص ١٧٠ .

ما خاب عبد أملك أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك كل نبي وملك
يا مخطئاً ما أغفلك عجّل وبادر أجلك
واختم بخير عملك لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك والعز لا شريك لك [1]

واسمع معي إلى هذه القصة التي حضرها طاووس رحمه الله ويحكيها لنا ابن الجوزي رحمه الله في كتابه « صفوة الصفوة » : قال طاوس بينا أنا بمكة بعث إليّ الحجاج فأجلسني إلى جنبه ، واتكاني على وسادة ؛ إذ سمع ملبيا يلبي حول البيت رافعا صوته بالتلبية فقال : عليّ بالرجل . فاتي به . فقال : ممن الرجل ؟

فقال : من المسلمين .

قال : ليس عن الإسلام سألت .

قال : فعم سألت ؟

قال : سألتك عن البلد .

قال : من أهل اليمن ؟

قال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يريد أخاه .

قال : تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا .

قال : ليس عن هذا سألتك .

قال : فعم سألت ؟

قال : سألتك عن سيرته .

(١) انظر : البداية والنهاية / ابن كثير / ج ١٠ / ص ٢٣٣ .

فقال : تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق .

فقال له الحجاج : ما حملك أن تتكلم بهذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني .

قال الرجل : أتراه بمكانه منك أعز مني بمكاني من الله عز وجل؟ وأنا وافد بيته ومصدق نبيه ، وقاضي دينه .

قال : فسكت الحجاج فما أحار جوابا ، وقام الرجل من غير أن يؤذن له فانصرف .

قال طاوس : وقمت في أثره ، وقلت : الرجل حكيم .

فأتى البيت فتعلق بأستاره ثم قال : اللهم بك أعوذ وبك ألوذ اللهم اجعل لي في اللهف إلى جودك والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما في أيدي المستأثرين ، اللهم فرجك القريب القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة ، ثم ذهب في الناس فرأيته عشية عرفة وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي فلا تحرمني الأجر على مصيبتي بتركك القبول مني ، ثم ذهب في الناس فرأيته غداة جمع يقول : واسوأتاه والله منك وإن عفوت يردد ذلك[1] .

استمرارك في العمل دليل على قبول حجك :

أخي الحبيب : ذكر ابن القيم رحمه الله في « الداء والدواء » : أن المعاصي تزرع أمثالها حتى يعز على العبد مفارقتها، والخروج منها.

---

(١) انظر : صفوة الصفوة / ابن الجوزي / تحقيق محمود فاخوري ، د / محمد رواس قلعجي / ج ٢ / ص ٢٩٩ / الطبعة الثانية / دار المعرفة بيروت / ط ١٩٧٩ م .

وقال بعض السلف : إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ولا يزال العبد يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه أزاً (١) .

وإذا كان هذا هو حال العبد في المعصية ، فإن حاله في الطاعة كذلك .

وقد كان من كلام السلف : علامة قبول الطاعة الطاعة بعدها .

فإن وفقت لطاعة فهذه علامة قبول حجك . وقد قال ربنا : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم : ٧٦] .

يقول ابن عطاء الله : من وجد ثمرة عمله عاجلاً فهو دليل على وجود القبول آجلاً (٢) .

ويقول : وجدان ثمرات الطاعات عاجلاً بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلاً (٣) .

وإن من مميزات الإسلام أنه دين عبادة مستمرة وطاعة دائمة ، ولا تنتهي العبادة فيه بانتهاء شعيرة ، أو الفراغ من فريضة ، بل العبادة مستمرة مع الإنسان من لحظة تكليفه ، إلى لحظة تكفينه ، وقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾
[الحجر : ٩٩]

بل العبودية كما يؤكد ابن القيم تستمر بعد الممات : بل عليه

---

(١) انظر : الداء والدواء / ص ٤٧ .
(٢) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ٢٥ .
(٣) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ٥٨ .

في البرزخ عبودية لما يسأله الملكان : من كان يعبد ؟ وما يقول في رسول الله ﷺ ، ويلتمسان منه الإجابة .

وعليه عبودية أخرى يوم القيامة ، يوم يدعو الله الخلق كلهم إلى السجود فيسجد المؤمنون ويبقى الكفار والمنافقون فلا يستطيعون السجود ، فإذا دخلوا دار الثواب والعقاب انقطع التكليف هناك وصارت عبودية أهل الثواب تسبيحاً مقروناً بأنفاسهم لا يجدون له تعباً ولا نصباً (١) .

ومن هنا كان النبي ﷺ يحذر من انقطاع العمل ويوضح أن : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »(٢) .

وحين دخل النبي ﷺ على عائشة ـ رضي الله عنها ـ ووجد عندها امرأة سأل : « من هذه ؟ قالت : فلانة ؛ تذكر من صلاتها(٣) ، قال : مه(٤) عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا ، قالت عائشة : وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه »(٥) .

أخي الحبيب : إن الثبات على الطاعة بعد الحج كما ذكرنا توفيق من الله ، ومنة من الباري سبحانه ، ولذا كان الصالحون يسألون الله الثبات وقد جاء في دعاء الراسخين في العلم : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي

---

(١) انظر : تهذيب مدراج السالكين / ص ٨١ .
(٢) رواه البخاري في الرقاق رقم (٦٤٦٤) ، ومسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٨٣) عن عائشة .
(٣) تذكر من صلاتها : أي من كثرتها .
(٤) مه : كلمة زجر . ولا يمل الله أي لا يقطع ثوابه عنكم حتى تملوا أو تتركوا عبادتكم .
(٥) رواه البخاري في الإيمان رقم (٤٣) ، ومسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٨٥) عن عائشة .

الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٧، ٨].

وإذا كان هذا هو دعاء الراسخين فما بالنا نحن ؟ فإن علمت ذلك أخي الحبيب فتأمل دعاء النبي ﷺ لربه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ».

نعم لقد كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . فقيل له : يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا فقال ﷺ : « نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف شاء »[١].

وكان ﷺ إذا أقسم قال : « لا ومقلب القلوب »[٢].

وفي حديث أم سلمة أن النبي ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول : « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقلت : « يا رسول الله ما أكثر دعائك : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قال : يا أم سلمة إنه ليس من آدمي إلا قلبه بين إصبعين من أصابع الله عز وجل ؛ فإن شاء عز وجل أقام وإن شاء أزاغ »[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٢١٠٧) عن أنس، وقال محققو المسند : إسناده قوي على شرط مسلم، ورواه الترمذي (٢١٤٠) وأبو يعلى (٣٦٨٧) والحاكم (١ / ٥٢٦)، وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٧٣٩) .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٦٢٨) .

(٣) رواه أحمد (٢٦٦٧٩) عن أم سلمة، وقال محققو المسند : حديث صحيح بشواهده، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠ / ٢٠٩) والترمذي (٣٥٢٢) وأبو يعلى (٦٩٨٦)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠٩١) .

وفي رواية عن عائشة أن النبي ﷺ كان يدعو: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالت: فقلت : يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء؟ فقال : يا عائشة إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، فإذا شاء أزاغه، وإذا شاء أقامه »(١).

وهذا ما جعل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يقول لأبي الدرداء : تعال نؤمن ساعة . إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً .

أخي الحبيب : إن الاستقامة على طاعة الله هي جالبة الأمن ، مذهبة الخوف ، مدخلة الجنة ، ولقد سأل سفيان ابن عبد الله رسول الله ﷺ فقال : قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك . فقال رسول الله ﷺ : قل : آمنت بالله ثم استقم »(٢).

وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ** ﴾ [فصلت : ٣٠].

إن انقطاع العمل هو روغان وتفلت ، وقد قال عمر في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾ لم يروغوا روغان الثعلب .

ادع ربك قبول حجك والزم الاستغفار :

أخي الحبيب : أما وقد أنهيت نسكك ، وتحللت من إحرامك ؛ فسل الله قبول طاعتك والزم الاستغفار فإنه ديدن الصالحين بعد كل

---

(١) رواه أحمد (٢٤٦٠٤) عن عائشة، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وأخرجه النسائي في الكبرى (٧٧٣٧).
(٢) رواه مسلم في الإيمان رقم (٣٨) عن سفيان بن عبد الله .

طاعة ، وإياك أن تقل : إنني لست في حاجة إلى استغفار بعد الطاعة ، فهذا ظن خاطئ ، وفهم قاصر .

فقد يظن كثير من الناس أن الاستغفار إنما هو إثر معصية ، أو وقوع في خطيئة، أو تقصير في واجب ، أو وقوع في محذور، أو تنح عن الطريق المشروع ، أو وقوع في حبائل الشيطان ، بارتكاب صغيرة أو كبيرة ، ولكن هذا فهم خاطئ وتصور قاصر .

والحق أن العبد في حاجة إلي الاستغفار بعد الطاعة كما هو في حاجة إلى الاستغفار بعد المعصية، وهو محتاج إلى الاستغفار بعد الذكر والإحسان، كما أنه محتاج إلى الاستغفار بعد البعد والعصيان ؛ فاحتياجه للاستغفار بعد المعصية ليغفرها الله له وليمحها الله من سيئاته ، واحتياجه للاستغفار بعد الطاعة إنما ليتقبلها الله منه وليشكر لربه على أن وفقه مع من وفق من عباده الصالحين لمثل هذا الأمر .

يقول ابن القيم : وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارا عقب الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه ، وأنه لولا الله لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية ولا رضيها لسيده .

ويضرب ابن القيم أمثلة من الاستغفار بعد الطاعات فيقول : وقد أمر الله تعالى وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقب إفاضتهم من عرفات ، وهو أجل المواقف وأفضلها : ﴿ **فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٩٨، ١٩٩].

وبعد صلاة الليل ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] قال الحسن : مدوا الصلاة إلى السحر ثم جلسوا يستغفرون الله عز وجل .

وبعد الصلاة في الصحيح أنه ﷺ كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثا ثم قال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام »(١) .

وبعد أداء الرسالة واقتراب أجله ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ [النصر]

ومن هنا فهم عمر وابن عباس - رضي الله عنهم - أن هذا أجل رسول الله ﷺ أعلمه به فأمره أن يستغفره عقب أداء ما كان عليه فكأنه أعلمه بأنك قد أديت ما عليك ولم يبق عليك شيء فاجعل خاتمته الاستغفار .

كما كان بعد الوضوء يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين »(٢) ، فهذا شأن من عرف ما ينبغي لله ويليق بجلاله من حقوق العبودية وشرائطها .

وقال بعض العارفين : متى رضيت نفسك وعملك لله ؛ فاعلم

---

(١) رواه مسلم في الصلاة رقم (٥٩١) عن ثوبان .
(٢) رواه الترمذي في الطهارة (٥٥) عن عمر . وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٦١٦٧) .

أنه غير راض به ، ومن عرف أن نفسه مأوى كل عيب وشر، وعمله عرضة لكل آفة ونقص ؛ كيف يرضى لله نفسه علمه ؟

ولله در الشيخ أبي مدين حيث يقول : من تحقق بالعبودية نظر أفعاله بعين الرياء وأحواله بعين الدعوى ، وأقواله بعين الافتراء ، وكلما عظم المطلوب في قلبك صغرت نفسك عندك ، وتضاءلت القيمة التي تبذلها في تحصيله ، وكلما شاهدت حقيقة الربوبية وحقيقة العبودية، وعرفت الله وعرفت النفس ؛ تبين لك أن ما معك من البضاعة لا يصلح للملك الحق ولو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته ، وإنما يقبله بكرمه وجوده وتفضله ، ويثيبك عليه أيضا بكرمه وجوده وتفضله(١) .

اتق الله حيثما كنت :

أخي الحبيب : لقد فارقت حرم ربك ، وبلد مولاك ، وعدت إلى بلدك ودارك ، فهل تظن أنك تخفى عن ربك حين تبتعد عن حرمه وبلده ؟

أو ليست الأرض كلها ملكه ؟ أوليس الكون كله بيده ؟

أوليس هو القائل : ﴿ **هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ [المجادلة : ٧] .

أخي الحبيب :

تأمل قول النبي ﷺ لأبي ذر ومعاذ : «اتق الله حيثما كنت»(٢) واعلم أن ربك مطلع عليك ، وأن من طفت بيته ، وسعيت

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) رواه أحمد (٢١٣٥٤) وقال محققو المسند : حسن لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات، ورواه الترمذي (١٩٨٧) والحاكم (١ / ٥٤) والدارمي (٢٧٩١) والبيهقي في الشعب (٨٠٢٦)، وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣١٦٠).

له ، وأرغمت له أنف الشيطان برجمه ، ونحرت له هديك ؛ يراك في بلدك كما يراك في بلده ، وهو مطلع عليك أينما كنت ، فإياك أن تكون عابد موطن ، أو مسبح مكان ؛ ولكن خف ربك ، واعبد مولاك في كل موطن ، وفي كل مكان .

أخي الحبيب :

هل سمعت بهذه المرأة التي راودها رجل عن نفسها وقال لها : ما يرانا إلا الكواكب ؟ فقالت المرأة : فأين مكوكبها ؟

ودخل بعضهم غيضة[1] ذات شجر فقال : لو خلوت هاهنا بمعصية من كان يراني ؟ فسمع هاتفاً بصوت ملأ الغيضة ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٤] .

ورحم الله أحمد بن حنبل إذ كان ينشد :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب[2]

● **وأخيراً :**

يا من أحرمت وخلعت ثيابك : هل خلعت عنك معاصيك ؟

يا من ارتديت الثياب البيض هل تذكرت ثياب كفنك ؟

يا من لبيت بلسانك : هل لبى قلبك لمولاك ؟

---

(١) الشجر الملتف .

(٢) راجع هذه النقول في كتاب جامع العلوم والحكم / ج١ / ص ٤٠٩ وما بعدها .

يا من طفت بالبيت : هل طاف قلبك كما طافت جوارحك ؟

يا من سعيت وركضت : هل سعيت إلى ترك معاصيك ؟ وركضت تائباً إلى مولاك ؟

يا من وقفت بعرفة : هل عرفت قدر مولاك ؟

يا من رميت الجمار : هل رميت باطلك ، وقذفت معاصيك ، ورجمت ذنوبك؟

يا من حلقت رأسك وتجردت من شعرك : هل تجردت من الماضي وانسلخت من الفائت ؟

يا من نحرت هديك : هل نحرت هواك وذبحت معاصيك ؟

وفي الختام : أسأل الله لي ولك القبول والهداية ، والمغفرة والاستقامة ، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم . ربي :

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... يا من لسدته الحوائج ترفع
إني لجأت لباب أرحم راحم ... فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقير يمنع

وأخيراً **أخي الحبيب** : أما وقد فرغت من قراءة هذا الكتيب ، وانتهيت من مطالعة هذه الكلمات ، فإنك واجد فيه ولا شك عيوباً وأخطاء ، فهذه طبيعة البشر ؛ فما كان أخي الحبيب من نقص وعيب فمن نفسي والشيطان ، وما كان من فضل وكرم فمن ربي وهو

الرحمن ، ورحم الله عبداً أهدى إلي عيوبي كما قال الفاروق ، ورحم الله رجلاً بصّرني بذلاتي ، وأستحلفك بالله أخي الحبيب أن تدعو الله أن يغفر لصاحب هذه الكلمات ووالديه وأهله ومن قرأها ، ومن دعا ، ومن قال آمـــين .

أكرم عبد الستار كساب

الدوحة في ١٠ جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ
الموافق ٨ أغسطس ٢٠٠٣م

Akram_Kassab@hotmail.com

ملحق
أدعية يحتاج إليها الحاج والمعتمر من الكتاب الكريم والسنة المطهرة

أولاً : أدعية من القرآن الكريم :

١ - ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

٢ - ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

٣ - ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ .

٤ - ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ .

٥ - ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ .

٦ - ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ .

٧ - ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

٨ - ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

٩ - ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

١٠ - ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ .

١١ - ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ .

١٢ - ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

١٣ - ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

١٤ - ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

١٥ - ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

١٦ - ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

١٧ - ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

١٨ - ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

١٩ - ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ .

٢٠ - ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ .

٢١ - ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ .

٢٢ - ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

٢٣ - ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ .

٢٤ - ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

٢٥ - ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

٢٦ - ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ .

٢٧ - ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

٢٨ - ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

٢٩ - ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ .

٣٠ - ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

٣١ - ﴿ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ .

٣٢ - ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ .

٣٣ - ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ .

٣٤ - ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

٣٥ - ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

٣٦ - ﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

٣٧ - ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

٣٨ - ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

٣٩ - ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

٤٠ - ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ .

ثانياً : الدعاء من السنة :

١ - « اللهم إني أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم ».

٢ - « اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلا أنت [وحدك لا شريك لك] المنَّان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيُّوم، إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار ».

٣ - « اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت ولا مُضلَّ لمن هديت، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرِّب لما باعدت، ولا مباعد لما قرَّبت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذٌ بك من شر ما أعطيتنا وشرِّ ما منعتنا، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفَّنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدُّون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أُوتوا الكتاب، إله الحقِّ ».

٤ – « لا إلـه إلا الله العظيم الحليـم، لا إلـه إلا الله رب العـرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السماوات، وربُّ الأرض، وربُّ العرش الكريم ».

٥ – « اللهـم إنك تسـمع كـلامي ، وتعلم مكاني ، وتعلم سـري وعلانيتي ، لا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسالك مسالة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيا ، وكن بي رؤفا رحيما ، يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين » .

٦ – « اللهم إني عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك. أسالك بكلِّ اسم هو لك سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همي ».

٧ – « اللهم آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار ».

٨ – اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ». رواه البخاري ومسلم.

٩ - « اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء » .

١٠ - « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، واجعل الموت راحةً لي من كل شرٍّ » .

١١ - « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة » .

١٢ - اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني و دنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وآمن روعاتي؛ اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي » .

١٣ - « رب أعني ولا تُعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكُر لي ولا تمكُر عليَّ، واهدني ويسِّر الهدى إليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ، ربِّ اجعلني لك شكّاراً، لك ذكّاراً، لك رهّاباً، لك مطواعاً، إليك مخبتاً أوّاها منيباً، ربِّ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبِّت حجتي، واهد قلبي، وسدِّد لساني، واسلل سخيمة قلبي »

١٤ - « اللهم إني أسألك الهدى، والتُقى، والعفاف، والغِنى » .

١٥ - « اللهم اهدني وسددني، اللهم إني أسألك الهدى والسداد » .

١٦ – « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوُّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك ».

١٧ – « اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد، ونقِّ قلبي من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللهم إني أعوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم ».

١٨ – « اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما عملتُ، ومن شرِّ ما لم أعمل ».

١٩ – « اللهم رحمتك أرجو فلا تكِلني إلى نفسي طرفة عينٍ، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت ».

٢٠ – « اللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك ».

٢١ – « يا مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك ».

٢٢ – « اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها. أنت وليُّها ومولاها. اللهم إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها ».

٢٣ – « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ».

٢٤ – « اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي ».

٢٥ – « اللهم رب جبرائيل، وميكائيل وربَّ إسرافيل، أعوذ بك من حرِّ النار ومن عذاب القبر ».

٢٦ – « اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي

٢٧ – « اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علمٍ لا ينفع ».

٢٨ – « اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، ومن سيء الأسقام ».

– « اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تغفر لي، وترحمني، وإذا أردت فتنة قومٍ فتوفَّني غير مفتونٍ، وأسألك حبَّك، وحبَّ من يُحبك، وحبَّ عملٍ يُقربني إلى حبك .

٢٩ – « اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفَّني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الرِّضا والغضب، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قُرَّة عينٍ لا تنقطع، وأسألك الرِّضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذَّة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضرَّاء مُضرَّةٍ، ولا فتنةٍ مُضلةٍ، اللهم زيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهتدين ».

٣٠ - « اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تُشمت بي عدواً ولا حاسداً. اللهم إني أسألك من كلّ خيرٍ خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كلّ شرٍّ خزائنه بيدك ».

٣١ - « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلّغنا به جنّتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متّعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوّاتنا ما أحييتنا، واجعلهم الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا ».

٣٢ - « اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أن أردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر ».

٣٣ - « اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت. اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تُضلّني. انت الحيُّ الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون ».

٣٤ - « اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كلّ إثمٍ، والغنيمة من كلِّ برٍّ، والفوز بالجنة، والنجاة من النار ».

٣٥ - « اللهم أعنا على ذكرك، وشُكرك، وحُسن عبادتك ».

٣٦ - « اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتدُّ، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد ».

٣٧ - « اللهم قني شرَّ نفسي، واعزم لي على أرشد أمري، اللهم اغفر لي ما أسررت، وما أعلنت، وما أخطأت، وما عمدت، وما علمت، وما جهلت ».

٣٨ - « اللهم اجعل أوسع رزقك عليَّ عند كبر سني، وانقطاع عمري ».

٣٩ - « اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي ».

٤٠ - « اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنه لا يملكها إلا أنت ».

٤١ - « اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول ».

٤٢ - « اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يُسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع. أعوذ بك من هؤلاء الأربع ».

٤٣ - « اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء ».

٤٤ - « اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني، أعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة ».

٤٥ – «اللهم متّعني بسمعي، وبصري، واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من يظلمني، وخذ منه بثاري».

٤٦ – «اللهم إني أسألك عيشةً نقيةً، وميتةً سويّةً، ومرداً غير مُخزٍ ولا فاضح».

٤٧ – «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، والقسوة، والغفلة، والعيلة، والذلة، والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر، والكفر، والفسوق، والشقاق، والنفاق، والسمعة، والرياء، وأعوذ بك من الصمم، والبكم، والجنون، والجذام، والبرص، وسيء الأسقام».

٤٨ – «اللهم إني أعوذ بك من الفقر، والقلة، والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أُظلم».

٤٩ – «اللهم إني أعوذ بك من التَّردِّي، والهدم، والغرق، والحرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً».

٥٠ – «اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة».

٥١ – «اللهم إني أعوذ بك أن أُشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم».

٥٢ – «اللهم انفعني بما علّمتني، وعلّمني ما ينفعني، وزدني علماً».

٥٣ - «اللهم إني أسألك من الخير كله: عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرّ كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم إني أسألك من خير ما سألكَ عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شرّ ما استعاذ بك منه عبدك ونبيُّك. اللهم إني أسألك الجنة، وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، وأسألك أن تجعل كلَّ قضاءٍ قضيتهُ لي خيراً».

٥٤ - «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء».

٥٥ - «اللهم إنك عفوٌّ كريمٌ تحبُّ العفو فاعف عني».

٥٦ - «اللهم ارزقني حبك، وحُبَّ من ينفعني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أُحبُّ فاجعله قوةً لي فيما تحب، اللهم ما زويت عني مما أحبُّ فاجعله فراغاً لي فيما تحبُّ».

٥٧ - «اللهم طهرني من الذنوب والخطايا، اللهم نقّني منها كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد».

٥٨ - «اللهم إني أعوذ بك من البخل، والجبن، وسوء العمر، وفتنة الصدر وعذاب القبر».

٥٩ - «اللهم رب السماوات ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيءٍ، فالق الحبِّ والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل

والفرقان، أعوذ بك من شرِّ كلِّ شيءٍ أنت آخذٌ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطن فليس دونك شيءٌ، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر».

٦٠ - «اللهم ألِّف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجِّنا من الظلمات إلى النور، وجنِّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا، وأبصارنا، وقلوبنا، وأزواجنا وذرياتنا، وتُب علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمك مثنين بها عليك قابلين لها وأتمها علينا».

٦١ - «اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأهواء، والأعمال، والأدواء».

٦٢ - «اللهم قنِّعني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف عليَّ كل غائبةٍ لي بخير».

٦٣ - «اللهم حاسبني حساباً يسيراً».

٦٤ - «اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء في دار المقامة».

٦٥ - «اللهم إني أسألك الجنة وأستجير بك من النار».

٦٦ - «اللهم فقِّهني في الدِّين».

٦٧ - «اللهم اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدِّي، وخطئي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي».

٦٨ – « اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت . فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » .

٦٩ – « اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني » . « واجبرني وارفعني » .

٧٠ – « اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا » .

٧١ – « اللهم أحسنت خلقي فأحسن خُلُقي » .

٧٢ – « اللهم ثبِّتني واجعلني هادياً مهديّاً » .

٧٣ – « اللهم آتني الحكمة التي من أُوتيها فقد أُوتي خيراً كثيراً » .

٧٤ – « اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبَّلاً » .

٧٥ – « اللهم إنِّي أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد » .

٧٦ – « ربِّ اغفر لي، وتُب عليَّ، إنك أنت التَّوَّاب الغفور » .

٧٧ – « اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبِّتني، وثقِّل موازيني، وحقق إيماني، وارفع درجاتي، وتقبَّل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العُلى من الجنة، اللهم إني أسألك فواتح الخير، وخواتمه، وجوامعه، وأوله،

وظاهره، وباطنه، والدرجات العلى من الجنة آمين. اللهم إني أسألك خير ما آتي، وخير ما أفعل وخير ما أعمل، وخير ما بطن، وخير ما ظهر، والدرجات العلى من الجنة آمين. اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتصلح أمري، وتطهر قلبي، وتحصّن فرجي، وتُنوّر قلبي، وتغفر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين. اللهم إني أسألك أن تبارك في نفسي، وفي سمعي، وفي بصري، وفي روحي، وفي خلقي، وفي خُلُقي، وفي أهلي، وفي محياي، وفي مماتي، وفي عملي، فتقبّل حسناتي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة ».

٧٨ – « اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ».

٧٩ – « اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ».

آمين آمين آمين

المراجع

●● القرآن الكريم .

●● كتب السنة :

١ – صحيح البخاري .
٢ – صحيح مسلم .
٣ – أبو داوود .
٤ – سنن النسائي .
٥ – سنن ابن ماجه .
٦ – موطأ مالك .
٧ – البزار .
٨ – مسند أحمد .
٩ – صحيح ابن حبان .
١٠ – أبو يعلى .
١١ – الطبراني الكبير والأوسط والصغير .
١٢ – المستدرك للحاكم .
١٣ – السنن الكبرى للبيهقي .
١٤ – المصنف عبد الرزاق .
١٥ – المصنف لابن أبي شيبة .
١٦ – مجمع الزوائد .

١٧ – كنز العمال .

١٨ – مسند الشافعي .

١٩ – الجامع الصغير للسيوطي .

٢٠ – شرح النووي على صحيح مسلم – النووي – ط دار إحياء التراث العربي – ط١٣٩٢ هـ .

٢١ – مؤلفات وتصحيحات الألباني وخاصة :

- تخريج أحاديث فقه السيرة لمحمد الغزالي .
- السلسلة الصحيحة .
- السلسلة الضعيفة .
- صحيح الجامع الصغير .
- صحيح سنن الترمذي .
- صحيح سنن أبي داود .
- صحيح سنن النسائي .
- صحيح سنن ابن ماجه .
- ضعيف الجامع الصغير .
- ضعيف سنن الترمذي .
- ضعيف سنن ابن ماجه .

●● **كتب التفسير :**

١ – تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – دار الفكر بيروت – ١٤٠١ هـ.

٢ – الجامع لأحكام القرآن –الإمام القرطبي – ط دار الشعب القاهرة – ١٣٧٢ هـ.

٣ – في ظلال القرآن ـ الأستاذ سيد قطب ـ طبعة دار الشروق .

● **معاجم .**

١ – الغريب – أبي عبيد القاسم بن سلام – ط مكتبة الثقافة الإسلامية . مصر ١٩٨٩ م .

٢ – الفائق في غريب الحديث – جار الله محمود بن عمر الزمخشري – ط مكتبة الحلبي .

٣ – القاموس المحيط – لفيروز آبادي – ط دار الجيل بيروت .

٤ – لسان العرب – ابن منظور – ط دار صادر بيرت .

٥ – مختار الصحاح – الرازي ط دار الفكر .

● **كتب أخرى .**

١ – إحياء علوم الدين – الإمام الغزالي – ط دار الحديث .

٢ – إعلام الموقعين – الإمام : ابن القيم – مكتبة ابن تيمية .

٣ – الإسلام في عصر العلم – محمد أحمد الغمراوي – ط دار الإنسان – ط الرابعة عام ١٩٩١ م .

٤ – الأذكار – الإمام النووي – ط دار القلم .

٥ – بستان الواعظين –ابن الجوزي – دار الكتاب العربي .

٦ – البداية والنهاية – ابن كثير – ط مكتبة المعارف بيروت – ج ١٠ – ص ٢٣٣ .

٧ – تهذيب مدارج السالكين – عبد المنعم صالح العلي العزي – ط المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع .

٨ – جامع العلوم والحكم – ابن رجب – مؤسسة الرسالة – تحقيق

شعيب الأرنؤط و عبد القادر الأرنؤوط – ط الرابعة عام ١٩٩٣م.

٩ – حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون – د : منير حميد البياتي –كتاب الأمة – طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر – ط الأولى – عدد ٨٨ .

١٠ – الحكم العطائية والمناجاة الإلهية – ابن عطاء الله السكندري – تعليق : حسن السماحي – الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

١١ – الداء والدواء – ابن القيم –مكتبة التراث الإسلامية .

١٢ – الرحيق المختوم – صفي الرحمن المباركفوري – ط دار الفكر – ط الأولى عام ١٩٩١م – .

١٣ – زاد المعاد – ابن القيم الجوزي – تحقيق شعيب الأرنؤط وعبد القادر الأرنؤوط – ط . مؤسسة الرسالة – ط الثانية عام ١٩٩٧م .

١٤ – صفوة الصفوة – ابن الجوزي – تحقيق محمود فاخوري ، د . محمد رواس قلعجي – الطبعة الثانية – دار المعرفة بيروت – ط ١٩٧٩ م .

١٥ – العبادة في الإسلام – د / يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة – ط الخامسة عشرة عام ١٩٨٥م .

١٦ – عندما ترعى الذئاب الغنم – أ / رفاعى سرور – دار الطباعة والنشر الإسلامية – الطبعة السادسة – ط ١٩٩١ م .

١٧ – فتاوى الحج والعمرة – الشيخ : عبد العزيز بن باز واللجنة الدائمة للبحوث .
١٨ – فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث – ط مكتبة المعارف الرياض – ط ١٩٩٢ م .
١٩ – فتح الباري – الحافظ ابن حجر – دار المعرفة بيروت – ط. ١٣٧٩ هـ .
٢٠ – فقه الأولويات – د : يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة – ط الرابعة ٢٠٠٠ م .
٢١ – فقه السنة – الشيخ : سيد سابق – ط دار الفكر .
٢٢ – فقه السيرة – محمد الغزالي – دار القرآن الكريم – ط ١٩٨٠ م .
٢٣ – فقه العبادات – الشيخ محمد بن عثيمين –دار العمل – الطبعة الثانية ١٩٩٧ م.
٢٤ – فيض القدير – المناوي – ط المكتبة التجارية .
٢٥ – الفقه الواضح – د. :محمد بكر إسماعيل – دار المنار .
٢٦ – الفوائد – ابن القيم – ط دار الكتب العلمية .
٢٧ – قواعد الأحكام في مصالح الأنام – الإمام العز بن عبد السلام – ط مؤسسة الريان – ط الثانية ١٩٩٨ م .
٢٨ – لطائف المعارف – ابن رجب الحنبلي .
٢٩ – نفحات ولفحات – د : يوسف القرضاوي –دار الوفاء – الطبعة الثالثة ١٩٨٩ م.

٣٠ – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – الشيخ : أبو الحسن الندوي – ط دار القلم – ط الثامنة ١٩٧٠م .
٣١ – مجموع الفتاوى – ابن تيمية – دار المعرفة بيروت .
٣٢ – ملامح المجتمع المسلم – د : يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة – الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .
٣٣ – المحلى – ابن حزم الظاهري – ط دار الآفاق الجديدة بيروت .
٣٤ – المغني في فقه الحج والعمرة – سعيد بن عبد القادر باشنفر – الطبعة التاسعة ٢٠٠٣ م – ط دار ابن حزم .
٣٥ – المنهج لمريد الحج والعمرة – الشيخ محمد بن عثيمين .
٣٦ – مقالات الشيخ عبد السلام البسيوني بعنوان « يوميات حاج مشاغب » .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● إهداء	٣
● مقدمة	١١
● تمهيد	١٥
١ – رسالتان	١٦
٢ – الرسالة الأولى : لماذا لا تحج ؟	١٦
٣ – هل تعلم فضل الحج ؟	١٧
٤ – محو الذنوب	١٩
٥ – الحجاج وفد الله	١٩
٦ – دخولك الجنة	٢٠
٧ – الحج جهاد	٢٠
٨ – الحج أفضل الأعمال	٢٠
٩ – عتق رقبة من ولد إسماعيل	٢١
١٠ – عتق سبعين من ولد آدم	٢١
١١ – مباهاة الله بالحجيج ملائكته	٢١

الموضـــوع | الصفحة

١٢ – الحج يكفـر الكبـائر ٢١
١٣ – الحج يدفع الفقـر ويذهب الفاقة ٢٢
١٤ – بالحج يستمر الأجر إلى يوم القيامة ٢٢
١٥ – الرسالة الثانية : إلى زوار بيت الله في كل عام : ٢٨
١٦ – ملاحظتان ٣٤

الفصل الأول

« ما قبل الحج» ما يفعله من يريد الحج

(٣٦ – ٦٤)

أولاً : لماذا تحج ؟ ومن تقصد ؟ ومن تريد ؟ وما هي نيتك ؟. ٣٧
ثانيـاً : هل تبت من ذنوبك وأقلعت عن عيـوبك ؟ ورددت المظالم إلى أهلهـــا ؟........................ ٤٠
ثالثـاً : هل طاب مالك ؟ وطابت نفقتك ؟............ ٤٤
رابعاً : هل أرضيت والديك ؟ وبررت الله فيهما قبل الخروج؟ ٤٧
خامساً : هل تعرفت على مناسك الحج ؟............ ٤٨
سادساً : هل بحثت عن رفقة صالحة ، وأخلاء صالحين ؟... ٥١
سابعاً : هل سددت ديونك إن وجدت ، وأرضيت غرماءك قبل الخـروج ؟ ٥٤

الموضـــوع	الصفحة

ثامناً : هل تركــتك وصــيــتك ؟ ٥٦
تاسعاً : هل تعلمت آداب السفر ؟ ٥٨
أخـيـراً :هل علمت مـا هو الحج المبـرور ٦٢

الفصل الثاني
كيف تعتمر وتحج ؟
(٦٥ - ٨٠)

١ - محظورات الإحـرام ٦٨
٢ - من أين يحـرم من أراد الحج أو العمـرة ؟ ٦٩
٣ - أنواع النسك ٧٠
٤ - كيف تعتمر ؟ ٧٠
٥ - كـــيف تحج ؟ ٧٤
٦ - أعـمـال اليـوم الأول : يوم التروية ٨ ذي الحجة : ٧٤
٧ - أعـمـال اليـوم الثاني : يوم عرفة ٩ ذي الحجة ٧٥
٨ - أعـمـال اليـوم الثالث : يوم النحر ١٠ ذي الحجة ٧٦
٩ - أعمـال اليـوم الرابع : يوم القر ١١ ذي الحجة ٧٨
١٠ - أعمال اليوم الخامس : يوم النفر الأول ١٢ ذي الحجة . ٧٨
١١ - أعمال اليوم السادس : يوم النفر الثاني ١٣ ذي الحجة . ٧٩

الموضـــوع	الصفحة
١٢ – زيارة المسجد النبوي	٧٩
الفصل الثالث	
مع المصطفى ﷺ في حجه	
(٨١ – ١٥٨)	
أولاً : المصطفى ﷺ ذاكـــراً لربه	٨٢
ثانياً : المصطفى ﷺ دعاءً خاشعاً متضرعاً	٨٤
ثالثاً : المصطفى ﷺ ناصحاً لأهله	٨٨
رابعـاً : المصطفى ﷺ مـعلمـاً لأمـتـه	٨٩
خامسـاً : المصطفى ﷺ مفتـيـاً لأمته	٩٤
سـادسـاً : المصطفى ﷺ غائظاً لعدوه مخالفاً له	١٠٥
سـابعـاً : المصطفى ﷺ ليناً في وعظه	١٠٧
ثامناً : المصطفى ﷺ حكيماً في أمره ونهيه	١١١
تاسعاً : المصطفى ﷺ ميسراً في نسكه	١١٣
عاشراً : المصطفى ﷺ متواضعاً لرعيته	١١٧
حادي عشر : المصطفى ﷺ محبباً في ربه	١٢١
ثاني عـشـر : المصطفى ﷺ عـمله يطابق قـوله	١٢٤

الموضـــوع	الصفحة

ثالث عشر : المصطفى ﷺ مبلغاً رسالة ربه ١٢٧
رابع عشر : المصطفى ﷺ ينزل الناس منازلهم ١٣٠
خامس عشر : المصطفى ﷺ معلناً لحقوق الإنسان ١٣١
سادس عشر : المصطفى ﷺ منظماً في هديه ١٣٦
سابع عشر : المصطفى ﷺ مقتد بإخوانه ١٤١
ثامن عشر : المصطفى ﷺ يحدد المرجعية العليا ١٤٦
تاسع عشر : المصطفى ﷺ ناصراً للمرأة ١٤٩
المتمم للعشرين : المصطفى ﷺ يؤصل لفقه الدعوة إلى الله تعالى ١٥٥

الفصل الرابع

الحج دروس وعبر

(١٥٩ – ١٩٢)

أولاً : الانقياد والتسليم لله رب العالمين ١٦٠
ثانياً : تربية الضمير ١٦٤
ثالثاً : الحج تربية للإرادة وتقوية للعزيمة ١٦٩
رابعاً : المساواة ١٧٠
خامساً : مراغمة الشيطان ١٧٢

الموضوع	الصفحة

سادساً : إظهار توحيد الله جل وعلا ١٧٩
سابعاً : وحدة الأمة ١٨١
ثامناً : عظة الموت والحشر ١٨٤
تاسعاً : الكون كله ملب وطائف ١٨٨

الفصل الخامس

وماذا بعد الحج ؟

(١٩٣ - ٢١٠)

١ - افرح ولا تعجب ١٩٥
٢ - استمرارك في العمل دليل على قبول حجك ٢٠٠
٣ - ادع ربك قبول حجك والزم الاستغفار ٢٠٤
٤ - اتق الله حيثما كنت ٢٠٧
٥ - وأخيراً ٢٠٨
ملحق : أدعية يحتاج إليها الحاج والمعتمر من الكتاب والسنة ٢١١
● **المراجع** ٢٢٧
● **الفهرس** ٢٣٣

رقم الإيداع : ٢٠٩٠٠ / ٢٠٠٥ م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٤٨٢٧٨٥١٠